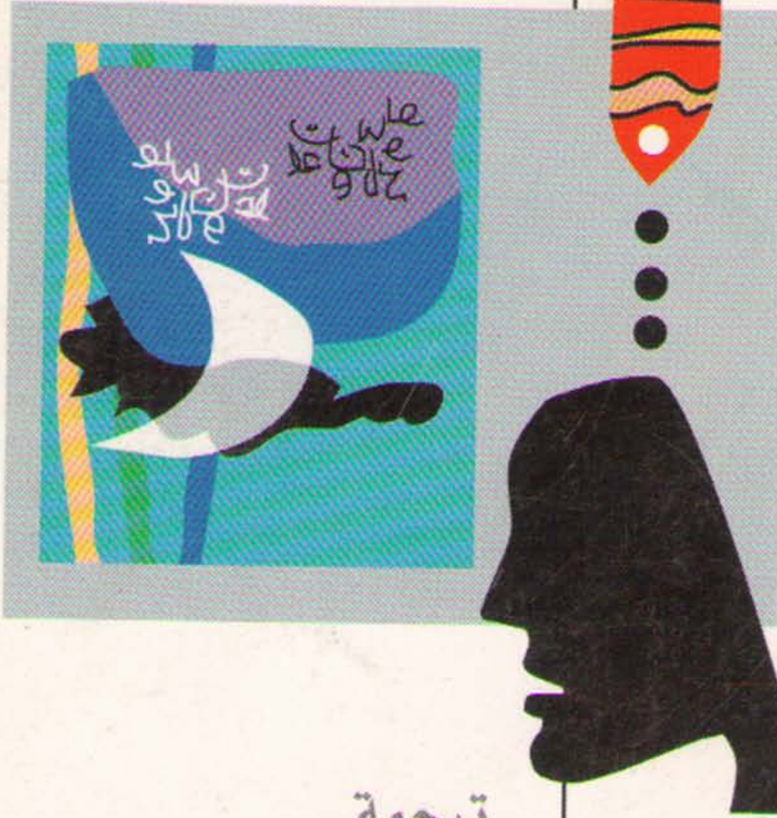
إبداعات عالمية

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

327

مسرحية

المنزل ذو الشرفات السبع



تأليف

اليخاندرو كاسونا

ترجمة

أنور ساطع أصفري

مراجعة

د. شريف حمد

سلسلة شهرية محكّمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ديسمبر 2000


المجلس
الوطني
للثقافة
والفنون
والآداب

المنزل ذو الشرفات السبع

كوميديا سوداء

من ثلاثة فصول

تأليف: اليخاندرو كاسونا

ترجمة

أنور ساطع أصفري

مراجعة

د. شريف حمد

إبداعات عالمية

تصدر كل شهرين عن
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

سعر النسخة

الكويت ودول الخليج	500 فلس
الدول العربية الأخرى	ما يعادل دولاراً أمريكيا
خارج الوطن العربي	دولاران أمريكيان

الاشتراكات

دولة الكويت

للأفراد	10 د.ك
للمؤسسات	20 د.ك

دول الخليج

للأفراد	12 د.ك
للمؤسسات	24 د.ك

الدول العربية الأخرى

للأفراد	25 دولارا أمريكيا
للمؤسسات	50 دولارا أمريكيا

خارج الوطن العربي

للأفراد	50 دولارا أمريكيا
للمؤسسات	100 دولار أمريكي

تسدد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب وترسل على العنوان التالي:

السيد الأمين العام
للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص. ب: 28623 - الصفاة - الرمز البريدي 13147
دولة الكويت

ردمك x - ٩٠٤٩- ٠ - ٩٩٩٠٦
ISBN 99906-0-049-x

المنزل ذو الشرفات السبع

PROHIBIDO SUICIDARSE EN PRIMAVERA

تاليف : اليخاندرو كاسونا

ترجمة : أنور ساطع أصفري

مراجعة : د . شريف حمد

الطبعة الأولى - الكويت

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، 2000م

إبداعات عالمية العدد 327

صدر العدد الأول في أكتوبر ١٩٦٩م

تحت اسم سلسلة من المسرح العالمي

أسسها : أحمد مشاري العدواني

(١٩٢٣-١٩٩٠)

تصدير

يصدر هذا العدد من إبداعات عالمية ودولة الكويت تقف بكل عنفوانها الثقافي والفكري على أعتاب دخول العام ٢٠٠١م لتكون عاصمة للثقافة العربية، والكويت إذ تفخر بهذه الريادة الثقافية لعام كامل، فإنها تتطلع إلى المزيد من التواصل الفكري العربي والعالمي.

ويلاحظ القارىء العزيز بداية من هذا العدد إخراجًا جديدا لسلسلة إبداعات عالمية، وغلافًا جديداً نأمل أن يساير ما تقدمه هذه السلسلة من خلاصة الفكر الإنساني مترجما من لغات شتى لصنوف من الأدب شتى.

رئيس التحرير

مقدمة

شهد المسرح الإسباني في بداية الثلاثينيات من هذا القرن نهضة مسرحية جديدة على أيدي ثلاثة كتاب كبار هم: إنريكي خارديبيل بونثيلا، وفدريكو جارسيا لوركا وأليخاندرو كاسونا. وقد شق كل واحد من هؤلاء طريقا خاصة به.

أما الطريق التي اختارها كاسونا فهي طريق (الفانتازيا) الساحرة وعدم الامتثال لواقعية صرفة، وخلق لا واقع ممكن منطقيا، وخاضع لعالم الواقع. وهي طريق سلكها أيضا ميترلينيك الشاعر والمسرحي البلجيكي، وموريس دي جينفوا الفرنسي، ثم استطالت حتى بلغت مجدها على أيدي كتاب أمريكا اللاتينية في النصف الثاني من القرن العشرين.

بدأ كاسونا إبداعه بـ «الحورية الهاربة» في العام ١٩٢٩، لكنها لم تعرض إلا في العام ١٩٣٤، بعد أن نال عنها جائزة لوبي دي بيجا، وهي أكبر جائزة تمنح لعمل مسرحي في إسبانيا. وكانت مفاجأة للجميع مشاهدين ونقادا بخروجها عما ألفوه حتى ذلك الحين. وقد اشتملت على كل الخصائص والسمات التي نجدها في مسرحياته اللاحقة التي، وإن عدَّلت منها، لكنها لم تضف إلى المحصلة شيئا مهما.

كاسونا لا يسمي كل ما تذخر به أعماله من المدهشات باللاواقع، وإنما يدعوه واقعا خارقا للعادة، أو فائقا. وهو يتفق بذلك وتفسير مينيندس بيدال في مقدمته لتاريخ الآداب الإسبانية: «المخيلة الإسبانية تنزع نزوعا جوهريا إلى معالجة المدهش لا على أنه فنتازي خالص، وإنما هو واقع خارق، واقع ثان!». كاسونا عبر عن واقعي الإنسان

كليهما: الواقع الأسير العادي، والواقع الحر الفائق محققا الانسجام بينهما. هذا الواقع الحر هو واقع الحلم لا بالمعنى بالسريالي، وإنما أمابمعنى الكشف عن «عالمنا الآخر»، عن الحياة اللاصقة بنا أشد الالتصاق التي لا تخضع للمحاكمات العقلية، ولا للمعايير الاجتماعية، والتي نصونها عن «عيون الآخرين، ولا نكشف عنها إلا أمام الله».

هدف كاسونا أن يزيل عن أعيننا هذه الغشاوة ويبصرنا بهذا الوجود الآخر، وينقذنا من قيود الواقع اليومي المبتذل والممل كي يمكن إعادة دمج الإنسان بإنسانيته الرائعة في لحظة تجاوز تلتقي فيها الذات مع نفسها.

كاسونا لا ينكر الواقع العادي، وإنما يريد أن يصل إليه عبر الفانتازيا، ويبلغ الحقيقة عبر المحال. والواقع الفائق الذي يبحث عنه ليس لا واقعا منفلتا من قيود الواقع، وإلا لغدا جنونا. وهو يعلم أن اللاواقع يظل «خصبا مادام ملتحما بالواقع». وحين يظن مشاهدو مسرحه وقراؤه أنهم تاهوا في هذه المجردات، لا يلبث أن يعيدهم إلى واقعهم العادي، ويشعرهم أن أقدامهم لا تزال راسخة في الأرض، موفقا بمهارة بين الفانتازيا والحقيقة، وبين لغة الواقع والشعر، واضعا أشخاصا لا واقعيين في مجال واقعي (الموت، الشيطان، الحب مشخصا ...)، وأشخاصا واقعيين في مجال لا واقعي، مازجا ببراعة بين الفكاهة والهم الإنساني الخفي.

في هذه المسرحية كما في كثير غيرها من أعمال كاسونا، لا يأتي الحل من عرض منطقي متتابع ومتدرج للأحداث، وإنما ينبثق بقفزات واندفاعات. لذلك لا يستطيع قارئها أو مشاهدها، أول مرة، أن يخمن ماذا تكون النهاية، مهما أوتي من الحدس.

إن التكتيك الذي يتبعه كاسونا هو أنه ينشئ إلى جانب العمل الأصلي، عملا ثانيا موازيا، يكاد في البداية لا يُلمح ، ثم لا يلبث أن ينمو ويتطور حتى يحل محل العمل الأول، ويصل بنا إلى الذروة أو العقدة، فالحل.

في هذه المسرحية ينثر كاسونا درره التعبيرية الجميلة من مفارقات دقيقة، وصور موحية جميلة، وحوار رشيق «يلعب فيه بالمنطق

المترجم

الشخصيات

- جينوفيثا.
- أماندا.
- الأم.
- روزينا.
- آليسيا.
- رامون.
- أوريبل.
- السيد جرمان.
- الجد.
- أنطون.

● عرضت هذه المسرحية في الثاني عشر من نيسان في العام ١٩٥٧ على مسرح «ليسيو» في «بوينوس أيرس» عاصمة الأرجنتين.

الفصل الأول

المنظر

«المنزل ذو الشرفات السبع الذي يقع في مدينة صغيرة شمال إسبانيا، يدعى بيت الأشراف.

المنزل مؤلف من طابقين: أرضي، وعلوي. في الطابق الأرضي، ومن ناحية اليسار توجد بوّابة كبيرة للأشراف تؤدي إلى الخارج، وعلى يمينه بابان داخليان. في الساحة اليسارية من الطابق الأرضي توجد مدفأة، وفوقها غلاية من النحاس.

في الزاوية بين المدفأة والبوابة الكبيرة يوجد مقعد فخم، وخزانة مليئة بالكؤوس والأواني المصنوعة من النحاس والخزف الفاخر، إضافة إلى بعض أباريق الماء.

أما الساحة اليمينية فيوجد فيها درج مع «درابزين» منقوش بشكل جميل مثل العملات الذهبية القديمة. هذا الدرج يؤدي إلى الغرف العلوية.

ويوجد فيها أيضا طاولة مصنوعة من خشب السرو، إضافة إلى بعض الكراسي والأرائك.

السيد جرمان، أماندا، روزينا، وأوربيل.

السيد جرمان طبيب ريفي عمره سبعون عاما، أمضاها بالخبرة الهادئة، يجلس أمام كوب من القهوة، ينظر بإمعان إلى أوربيل الذي بدا مبتسما، غارقا في التفكير، يجلس على الأرض لينهي صنع سفينة شراعية بساريتين، معتمدا على نفسه، لإنهاء فن تقليدي، يتابع عمله بصمت، بفرح، وبشرود، تماما وكأنه غير موجود. إنه شاب شاحب مراهق، في الثامنة عشرة من عمره. أماندا امرأة لطيفة جميلة، تلبس ثيابها بطريقة توحي بأنها خادمة أكثر من أنها سيدة. تنظر بتثاوب وصمت إلى كل من **جرمان وأوربيل**.

زوزينا فتاة ريفية، انحدرت حديثا من الجبل مع هوائه المنعش، تجلس لتلمع النحاس بشكل هادئ.

وقف السيد **جرمان** ينظر بتمهل إلى **أوريل وأماندا**، بينما تنظر **أماندا** إلى السيد **جرمان** وحده»

أماندا: بالتأكيد قد بردت مرة أخرى (صمت) سيد جرمان (تقترب نحوه) سيد جرمان.

جرمان: ماذا قلت؟

أماندا: قلت إن القهوة قد بردت مرة أخرى.

جرمان: غير مهم. إنها جيدة أيضا هكذا.

أماندا: الغليون منطفئ. هل هو جيد هكذا أيضا؟

جرمان: نعم.

أماندا: هل تعتقد أنك ستخرج بشيء بنظراتك المحملقة هذه؟

جرمان: دائما أتوقع أن يوما ما سيمنحني مزيدا من القوة لأنظر، وأنظر بإمعان لأعرف ماذا يدور في أعماق هذا الشاب.

أماندا: أكيد لا شيء، غرفة فارغة.

جرمان: على العكس، ربما عالم مليء وكامل، عالم بعيد، مختلف. إذ كيف يمكن أن توجد روح مالكة لجميع الأفكار، ومن دون امتلاك كلمة واحدة؟!

أماندا: أتسألني أنا؟!

جرمان: أسأل نفسي.

أماندا: كثيرون يولدون هكذا، من دون نطق.

جرمان: ليس بالضبط، الآخرون لا يتكلمون، ولا يفكرون أيضا. أورييل يفكر وبشكل مدهش... نعم.

أماندا: كيف تعرف ذلك؟

جرمان: من نظراته، فعندما يفكر في شيء جميل تتحول عيناه الزرقاوان إلى عينين أكثر زرقة.

أماندا: كطبيب.. إنك تملك أفكارا خيالية.

جرمان: الخالة جينوفيفا تفهمه كليا عندما تنظر إلى عينيه.

أماندا: أيضا خيالها يفيض عليها، ولكن أنا التي أحيا في هذا الطابق، وأدوس بثبات على أرض الغرفة، أبدا لم أستطع أن أفهم منه أي شيء.

جرمان: هذا طبيعي، أنت لا تحبينه، ولا تريدينه بجانبنا.

أماندا: أنت لم تستطع أن تفعل أي شيء لأجله. ألا توجد مدارس في العاصمة لمثل هذه الحالات؟

جرمان: كلا يا أماندا، سيبدو لك غريبا، وليس عليك أن تعتادي على هذه الأمور. أورييل ليس من الفتيان الذين يحتاجون لتعلّم القراءة على يد العارفين ولا للتحدث بلغة الأيدي. كلا، إنه حالة لا تخص المدارس، ولا تخص الأطباء.

أماندا: ما هي إذن؟

جرمان: إنه أكثر من قلق عميق، هو شيء غامض.

أماند: مع هذه الأسرار الخفية الغامضة لا يمكنك الوصول إلى شيء. في العاصمة يعرفون هذه الحالات أكثر منك.

جرمان: شكرا...

أماندا: معذرة، ما قصدت إهانتك، أقول إنه ربما يجب أن تفكر في الكتب الكثيرة.

جرمان: لم تهينيني، فأنا هنا طبيب منذ بدأت، حضرت كل الولادات، أسعفت كل الجرحى، وفي كل مكان، وعرفت كل الأموات. أقسم لك إن من يشاهد شعبا كاملا يولد ويموت ولمدة خمسين عاما يرى أن الكتب لا تتحدث إلا عن القليل!

أماندا: على الرغم من ذلك، ما دام الفتى لن يتخلص من هذه الحالة، والأب غني مقتدر، فإني أرى أن هناك أفضل له.. أليس كذلك؟

جرمان: كلا يا أماندا، كلا، سيكون أفضل لك. إن الوضع مختلف.

أماندا: أنا؟ ماذا تعني؟

جرمان: (ينهض)، (صوت أخرس) ألا يكفيك؟ يجب عليّ أن أضيف بأنك مزعجة. هل تشعرين بالسعادة عندما ترينه خارجا إلى أحد هذه البيوت الباردة، التي تحتوي على مئات الفتيان كحالته، يموتون حزنا وكآبة مع بعضهم، متوّجين بنظرات خرساء؟!

أماندا: هذا غير صحيح!

جرمان: إنها الحقيقة، هل تريدين أيضا أن أقول لك السبب؟

أماندا: (تسيطر على نفسها، تنكمش، ترفع كتفيها) لا تبتعد كثيرا سيد جرمان، فأنا بعد كل ذلك لست هنا لأحب أو أكره، أنا موجودة هنا للعمل.

جرمان: (بشكل جاف) إذن لا تتركيه.

أماندا: حسنا.. (التفتت نحو روزينا وهي متجهة نحو الباب الأيمن، وقالت لها):

اعتني بالسيد فقد يحتاج إلى أي شيء.

روزينا: حسنا سيدة أماندا.

جرمان: (ينظر إلى ساعته) في أي ساعة يعود رب المنزل؟

أماندا: رامون؟

جرمان: قلت صاحب البيت..

أماندا: (جافة أيضا) ولماذا عليّ أن أعلم بذلك؟ هل يطلب صاحب البيت مني إذنا للخروج أو العودة.

«تخرج. السيد جرمان يمد يده، يتحسس جيوبه كي يشعل غليونه. روزينا تتجه نحوه، وتسعفه بشعلة»

جرمان: شكرا يا روزينا (تشعل الغليون بيدها، يمسك يدها) هل تشعرين بالبرد؟

روزينا: كلا.

جرمان: (ترفع يدها، ومازال عود الثقاف مشتعلا): إذن لماذا ترتجف يدك ببرودة وخجل؟

روزينا: لا أعرف، قد يكون خوفا..!

جرمان: خوفا؟

روزينا: لا ليس خوفا أيضا، إنه شيء بارد يسري في جسدي.

جرمان: ولكن، ماذا يحدث معك؟

روزينا: أنا جديدة في هذا المنزل. إنني أحبّ الاثنين: أورييل والآنسة جينوفيڤا كثيرا، ولا تعجب حينما أقول إنهما مختلفان كثيرا عن الناس الآخرين. لا أعرف تماما بماذا أشعر نحوهما، ولكنه خوف غريب، كخوفي من هبوط الليل.

جرمان: اهدئي، أمن الممكن أن ينتابك الخوف من هذا الفتى؟

روزينا: أعتقد أن الخوف ينتابني من الألم الذي يشعر به، عندما يرى نفسه في هذه الحالة.

جرمان: لماذا؟ انظري إليه، إنه سعيد بسفينته الشراعية.

روزينا: ولكنه لا يستطيع التحدث، وكأنه سيبقى مع صمته دوما لمفرده، هل أنت متأكد بأنه لا يتألم بداخله..؟

جرمان: أرجو ذلك.

روزينا: أيمكنه أن يفكر مثلنا؟

جرمان: ربما أفضل وأكثر نقاوة.

روزينا: في قريتي عرفت واحدا مثله، لا يتكلم ولا يفكر، وكأن الضباب على عينيه، عندما كنت أسقيه الماء كان ينزلق من بين شفتيه.

جرمان: أورييل بشكل قطعي مختلف تماما. اهدئي..

روزينا: إنه ليس مريضا، أليس كذلك؟

جرمان: كلا ليس مريضا، هل تعرفين حفيد الحدّاد؟

روزينا: ذو الذراع المبتورة؟

جرمان: نعم، ولكنهم لا ينعتونه بالمريض لذلك السبب أليس كذلك؟ حفيد الحدّاد هو فتى جيد الصحة غير أنه تنقصه ذراع. أما أورييل فهو ذو صحة جيدة، هو روح كاملة تنقصها الكلمة.

روزينا: كبار السن في قريتي، والذين أصبحوا مثل شموع الكنائس، كانوا يتحسسون بأصابعهم ذلك الغلام عندما كانوا يمرون بجانبه. (**تخفض صوتها، تقترب من أورييل، تنظر إليه وكأنه يسمعها**) يقولون إن الذين يولدون هكذا يعتبرون أولاد الله أكثر من غيرهم، ولكنهم يموتون قبل أن يصبحوا رجالا... هل هذا صحيح؟

جرمان: يمكن ذلك.

روزينا: أيضا أنت تعتقد ذلك؟

جرمان: أنا لا.. ولكن يروق لي احترام معتقدات الآخرين، وهل هذا هو منبع خوفك المزعوم؟

روزينا: كلا. يوجد أسوأ من ذلك، أمر خفي غامض لا يدعني أنام. أورييل لا يتكلم مع أي شخص على الإطلاق.. لايتكلم مع الراهب، ولا مع أماندا، ولا معي، ولا كلمة واحدة مع أحد. ولكن مع الخالة جينوفيڤا.. نعم يتكلم!

جرمان: من أين لك هذه الحماقات؟!

روزينا: لا أحد. لقد شاهدت ذلك بنفسي.

جرمان: (قلقا مذعورا) أنت؟! (يقترب منها) هل رأيت بنفسك أورييل يتحدث مع الخالة جينوفيڤا؟

روزينا: افهمني جيدا، إنه لا يتكلم بمعنى الكلام، ولكنه يستطيع أن يقول لها كل شيء، دون الحاجة إلى كلمات.

جرمان: (يهدأ) آه هل هناك شيء آخر؟ أتعتقدين أنك اكتشفت شيئا جديدا؟!

روزينا: هل كنت تعرف ذلك؟!

جرمان: عندما يكون اثنان متلازمين معا، ويحب أحدهما الآخر، حينها لا يحتاجان إلى الكلمات، نظرات العيون تكفي.

روزينا: كلا سيد جرمان، الأمر ليس كذلك، يوجد شيء أكثر من ذلك. إنهما يلعبان الورق، يضحكان، يقصان كل شيء

بينهما، وعندما يتعكر مزاج أحدهما، ينظر إليه الآخر، ويظل ناظرا إليه إلى أن يعود إلى الضحك ثانية. إنهما يتحدثان سيد جرمان، أقسم لك، أنه عندما لا يوجد أحد معهما، فإنهما يتكلمان سرا.

جرمان: أعلم ذلك. هي نفسها قالت لي.

روزينا: شرحته لك؟

جرمان: إن الحب اللامنتهي هو مكمل لهذه المعجزة. لكنه يعلم ضمنيا أن الخالة جينوفيڤا تراه، وتعامله مثل الكرستال، وعندما يشخص ثابتا، فإن الخالة جينوفيڤا تسمعه، تماما كما لو كان يفكر بصوت عال.

روزينا: أمن الممكن أن تسمع أفكاره؟

جرمان: هي نعم.

روزينا: والأب والآخرون وأنا..؟

جرمان: لا أحد غير الخالة جينوفيڤا.

روزينا: ولكن، هل هذه معجزة؟

جرمان: ولم لا..؟

روزينا: السيد كتب يقول: لا يمكن أن تتحقق المعجزات، وهو رجل متعلم.

جرمان: ولكنه لم يتعلم ما فيه الكفاية.

روزينا: هل تعتقد أنه مازالت هناك معجزات؟

جرمان: أجيبيني أنت أولا، كم عمرك؟

روزينا: سبعة عشر عاما.

جرمان: أنت وحيدة في هذا العالم، أليس كذلك؟

روزينا: إذا لم أكن وحيدة، لا يمكنني أن أكون خادمة.

جرمان: في أي ساعة تستيقظين؟

روزينا: مع صياح الديك، قبل بزوغ الشمس.

جرمان: وماذا تعملين؟

روزينا: وماذا تعتقد؟ أشياء كثيرة أعملها.. الترتيب، الكنس، الغسيل، الاسطبل، الحطب... وأشياء أخرى.

جرمان: وماذا بعد العمل؟

روزينا: بعد العمل؟! أستمر في العمل.

جرمان: هناك أيام الأحد والأعياد والعطل، ألا تملكين ساعة واحدة لنفسك؟ ماذا تفعلين بها؟

روزينا: عندئذ يتملكني الفرح والسعادة، أسرع إلى غرفتي، أفتح النافذة، وأبدأ بالغناء بصوت مرتفع كي يسمعني البعيدون جدا.. لماذا تسأل؟!

جرمان: لا لشيء (يرفع وجهها بين يديه) عليك أن تعلمي أي وجه جميل تملكينه، أعجوبة، عندما أحدّق به عن قرب (يربّت

على خدها، ينظر إلى ساعته، يرجّ الغليون من أجل تفريغه، يحتفظ به، يستعدّ للخروج): عندما يصل صاحب البيت قولي له: لم يكن بإمكاني انتظاره أكثر.

(عند الباب) تظهر الخالة جينوفيڤا بشكل متألق ذي جمال ذابل، ولكنه مليء بالمحاسن، ملل فجائي، ابتسامات، ثوب جميل فاتح اللون، مع طرحة بيضاء من الحرير، تسريحة شعر عالية، مسبحة، وكتاب الصلاة، ومروحة من الصدف، شيء غريب مضحك. أورييل حتى هذه اللحظة غائب وساه، ينهض بسعادة مع قاربه عندما يراها قادمة.

جينوڤيڤا: سيد جرمان.

جرمان: عزيزتي جينوڤيڤا، إنك جميلة، لست ككل مرة!

جينوڤيڤا: كيف لست ككل مرة؟!

جرمان: عفوا، أقصد كما أنت دائما.

جينوڤيڤا: ماذا يحدث لك هذه الأيام؟ رؤيتك عزيزة جدا، عليك أن تعلم أن ثمة مريضا عليك رؤيته هنا.

جرمان: أعيش بعيدا جدا، ووحيدا أيضا.

جينوڤيڤا: ألهذا السبب؟ هل يوجد بيت يعتبر بيتك أكثر من هذا؟

أورييل عزيزي..! (يقترب الفتى بعزّة نفس، إنه أنهى عمله): أنهيت كل شيء، رائع مدهش (تتناول القارب من بين يديه، تحركه في اتجاهات مختلفة وهي مندهشة):

أنهى عمله بنفسه، من دون موديل أمامه، إنها سفينة شراعية.. صحيح..!؟

جرمان: أعتقد أنها بارجة.

جينوفيڤا: ماذا يمكن أن يكون أكثر من ذلك؟ سفينة شراعية بساريتين، بارجة، البحر...
(تعيد القارب إلى أورييل، تحيّيه تحيّة عسكرية، ومروحتها اللؤلؤية بيدها):
أمرك كابتن..! الثاني ستصنعه أكبر. والثالث إلى الإبحار!
(أورييل يعود إلى مكانه، يرفع بعض أشيائه كالحبال والمجرفة)
أعتقد أنك اهتممت بالسيد جيدا يا روزينا؟

جرمان: لم أحظ باهتمام أفضل من هذا. روزينا فتاة عظيمة، وهي في هذه الأسابيع القليلة أصبحت تحبكما (أنتما الاثنان).

جينوفيڤا: (مندهشة، فرحة) أورييل أيضا؟

جرمان: بشكل خاص هو.

جينوفيڤا: (تقترب من روزينا) هل تحبين أورييل؟

روزينا: لا أدري إن كان هذا حبا، عندما أراه هادئا بعيونه الزائغة الشاخصة، أشعر برغبة في التقرّب منه، مثل عجائز قريتي، للمسه بأطراف أصابعي، وتقبيل أياديه بعد ذلك.

يؤسفني أن أراه كذلك..!

جينوفيڤا: آه. إلا هذا! فأنا أمنعك! شفقة لا! فأهل البيت ذي الشرفات السبع لا يسمحون، ولا يعترفون بالشفقة، عليك محبته. قولي إنك تحبينه، ولا شيء سوى ذلك.

روزينا: أحبه... (بتواضع يكاد صوتها يختفي).

جينوفيڤا: هذا ما سوف تقولينه له.

روزينا: له!؟ كيف يمكنني أن أكلمه؟!

جينوفيڤا: غير مهم، أنا سوف أخبره الآن.

(تتحسس دبابيس الطرحة، تبدأ بنزع الدبابيس، عائدة إلى السيد جرمان):

آه لو استطعت أن ترى كيف كان البحر جميلا مع هذه الشمس وأشعتها..

جرمان: هل كنت في الميناء؟

جينوفيڤا: فيما بعد، أولا، كنت في الصلاة، أستمع إلى الأورج الذي يعزف موسيقى جميلة جدا، كتلك التي يعزفونها في الأعراس.

جرمان: ماذا؟ هل كان يوجد عرس في هذا اليوم؟

جينوفيڤا: أبدا... ولكن بعد الضباب الكثيف، وحينما تشرق الشمس فإن عازف الأورج دائما يعزف هذا اللحن من أجل الاحتفال والمسرّة.

جرمان: وهل خطبوا الخطبة الدينية؟

جينوفيڤا: أفضل خطبة سمعتها في حياتي.

جرمان: حول ماذا؟

جينوفيڤا: حول ثلاث فضائل إلهية: الأمل.. الأمل.. الأمل..

جرمان: (يبتسم) عن الإيمان، والإحسان، لا شيء بعد؟

جينوفيڤا: بالتأكيد لاحقا. ولكنه كان شيئا رائعا ما قيل حول الأمل، مما جعلني أفكر فيه. وعندما تذكرت ذلك كان قد انتهى، (تتجه نحو الفتى): أوريبل! (تضع يديها فوق كتفيه، تنظر إليه باهتمام، يعطيها القارب، يأخذ عوضا عنه الطرحة، المشط، المسبحة، والكتاب المقدس، متجها نحو الدرج، توقفه بضربة خفيفة من مروحتها على كتفه):

انتظر. عفوا روزينا لقد نسيت.

(تنظر ثانية إلى أوريبل، الذي بادلها نظرة بنظرة، ثم ينظر إلى جينوفيڤا يسألها بعينيه، حينئذ يتقدم أوريبل ببطء نحو الفتاة. روزينا تراجعت بشكل غريزي انفعالي، وبذهول، أوريبل يسأل جينوفيڤا بنظراته مرة أخرى، يمد يده إلى زوزينا)

أجيبيه يا روزينا.

روزينا: (بصوت غير مسموع) أجيب ماذا؟!

جينوفيڤا: ألم تلاحظي أنه يعبّر عن شكره لك؟ لا يسعك إلا أن تشكريه.

روزينا: لي؟! (لم تجد كلمات تقولها، منحته يدها بشكل تلقائي لا إرادي): شكرا.

(أورييل يشدّ بقوة على يدها، وبعد ذلك يركض فرحا، يقفز درجات السلم نحو الأعلى درجتين درجتين.

السيد جرمان والخالة جينوفيڤا يتابعانه بنظراتهما.

روزينا أشارت عليه إشارة الصليب بسرعة ملحوظة.

جينوفيڤا تتكلم مفكرة دون أن تنظر إلى أحد، بينما تدع القارب في الزاوية).

جينوفيڤا: أخبرني يا سيد جرمان، إذا تعلم أن يلفظ كلمة واحدة يوما ما، كلمة واحدة على الأقل، فالكلمات الأخرى في الأيام التالية ستكون أكثر سهولة للاستيعاب، أليس صحيحا؟

جرمان: نعم أعتقد ذلك، لماذا؟

جينوفيڤا: لأنني أعلمه كلمة واحدة، كلمة واحدة، أعظم كلمة في هذا البيت، وهذه الكلمة يجب عليه أن يتعلمها (وكأنها شاردة ساهية): إلى أين وصلت بالحديث معك؟

جرمان: في مدخل الكنيسة..!

جينوفيڤا: آه.. نعم. عازف الأورج يعزف موسيقى الميناء، والشمس في مسيرة العروسين.

جرمان: هل كانت السفن كثيرة؟

جينوفيڤا: سفن من كل البلاد، تشكيلة من كل الأعلام، كلها

ماعدا سفينة البريد، على الرغم من أنني كنت حاملة مروحة الصدف عوضا عن المروحة الكبيرة التي أستخدمها للانتظار.

جرمان: أيوجد بينهما أي اختلاف؟

جينوفيفا: ما هذه الأسئلة يا سيد جرمان؟! المروحة الكبيرة تعطيني فقط هواء أكثر.

جرمان: عفوا.

جينوفيفا: كيف يمكن أن تتأخر سفينة البريد كثيرا؟

جرمان: أمريكا بعيدة جدا.

جينوفيفا: أعتقد أنهم غيّروا مسارها، من قبل كانت تتأخر أسابيع معدودات، أما هذه المرّة، فإنه يبدو لي أنها تأخرت قرنا بكامله.

جرمان: ولهذا السبب ذهبت إلى الخطبة الدينية، من أجل الأمل والرجاء؟

جينوفيفا: معك حق، معذرة، هل قرّرت الذهاب؟

جرمان: مرضاي يحتاجونني للثرثرة.

جينوفيفا: ثرثرة؟!

جرمان: نعم، هذه هي الوصفة الوحيدة التي أعتقد بها. أول شيء أبدأ معهم باستعمال المراهم الغالية، وبعد ذلك أتابع بالأعشاب، وفي النهاية أكتشف أن أحسن دواء

هو الكلمة، وفي هذه الحال يجب أن يتركوا للشفاء بهدوء. وداعا يا جينوفيڤا.

جينوفيڤا: دقيقة واحدة، أجبني أولا، ما هي الشجرة التي ليست بشجرة صنوبر ولا تفاح ولا بندق، وليست بشجرة سرو؟

جرمان: (يضحك) «حزوراتك» مرة أخرى؟!

جينوفيڤا: إنها ليست بـ «جزورة»، أقسم لك، أجبني من فضلك.

جرمان: هل هي شجرة الجوز؟

جينوفيڤا: لقد أجبتني عشرين مرة بأنها شجرة الجوز، وهذه الشجرة موجودة هنا، وما هنا لا يجدي. يجب أن تكون شجرة غريبة، جميلة، ومن بعيد.

جرمان: شجرة النخيل؟

جينوفيڤا: أبعد من ذلك.

جرمان: هل هي شجرة «الأبنوس»؟

جينوفيڤا: أبنوس، أبنوس، إلى أين تنتمي هذه الشجرة؟

جرمان: في الحقيقة لست متأكدا، و لكن هذه الشجرة لاتنتمي إلى أرضنا.

جينوفيڤا: تابع، أكثر بعدا أريد..

جرمان: هل هي شجرة الصندل؟

جينوفيفا: أيضا لا. إجاباتك من دون فائدة. والأشجار الثلاث التي ذكرتها كلها جميلة، ولكن ليس فيها ما يفي. على كل حال شكرا يا سيد جرمان (تودّعه) إلى متى؟

جرمان: دوما سنلتقي ابنتي.

(تتجه جينوفيفا وتودّعه حتى الباب الكبير مع مروحتها، ومن ثم تعود لتفكر بشرود. تذهب، تضع المروحة بجانب السفينة)

جينوفيفا: شجرة نخيل، جوز، صندل، للأسف ولا شجرة تصلح (توجّه حديثها إلى روزينا التي بدأت في تلميع نحاسها): اتركي هذا، فالعمل أيام الأحد معصية.

روزينا: الأحد، نعم يا سيدي، ولكن اليوم هو الجمعة.

جينوفيفا: يوم الجمعة! من قال لك ذلك؟

روزينا: إنه هنا في التقويم.

جينوفيفا: ياه..! في التقاويم تظهر أشياء كثيرة، وأكثر شيء يعجبني فيها هو يوم الأحد.

روزينا: وبالنسبة إلي أيضا أنا أحبه، ولكن اليوم هو يوم الجمعة.

جينوفيفا: تابعي عملك، عندما يوجد ضباب كثيف، فكل الأيام المشمسة هي أيام آحاد. دعي العمل واحذفي يوم الجمعة.

روزينا: أحذفه!؟ كيف؟

جينوفيفا: اعملي مثلي، فكل شيء قذر، كل شيء قبيح، وكل شيء خشن، أحذفه مرة واحدة، هل تلاحظين كلمات السيد القبيحة عندما يسبني؟ الشتائم عندي محذوفة، هل تلاحظين غمزات عيون السيدات عندما أمرّ؟ العيون محذوفة عندي أيضا.

وهنا داخل هذا المنزل هذه المرأة السيئة يجب أن أحذفها بأكملها، أفهمت الآن؟

روزينا: (تؤكد بإيماءة من رأسها) كلا سيدتي..

«تتجه جينوفيفا نحو الدرج، تقف قليلا، وتعود»

جينوفيفا: انتظري يا كاذبة انتظري، إذا لم يكن اليوم هو يوم الأحد، كيف أمكنني حضور الصلاة الكبرى؟

«روزينا طأطأت رأسها دون أن تتجرأ على إجابتها، جينوفيفا تتقدم بحرية وثبات، وترفع وجهها»

لا تخفضي عينيك، أجيبيني...

روزينا: لا توجد ضرورة اليوم للذهاب إلى الصلاة الكبرى.

جينوفيفا: آه. كيف لا إذن. فمن أين خرجت وأذناي مملوءتان بموسيقى مسيرة العروس، عندما ذهبت إلى الميناء؟

روزينا: أيضا لا يمكنك أن تكوني اليوم في الميناء.

جينوفيفا: لم لا؟!

روزينا: لأنه لا يوجد عندنا ميناء.

جينوفيفا: لا..!! ولماذا لا يوجد عندنا ميناء؟!

روزينا: لأنه لا يوجد عندنا بحر.

جينوفيفا: هذا مستحيل!

روزينا: البحر من الممكن مشاهدته من الصخرة العالية، ولكنه بعيد جدا.

جينوفيفا: وما هذه الرائحة التي تدخل غرفتي كل ليلة؟! وما هذه السفن التي تمرّ؟

روزينا: نعم تمرّ ولكن لا يمكنها أن ترسو.

جينوفيفا: إذن لا يوجد عندنا ميناء ولا بحر، ولكن من أين تأتي الرسائل المرسلة من أمريكا؟ يتراءى إليّ أن هذه الرسائل كانت تحملها سفينة ما.

روزينا: أنا أعلم أنه تصل إلينا بعض الرسائل، ولكن لا أدري من يحملها، ومن أين تأتي.

جينوفيفا: (تشعر بضيق مفاجئ) كلا يا روزينا لا يمكن ذلك. واحدة من كلينا مخطئة، ويجب أن تكوني أنت المخطئة، لأنك مازلت شابة. هل تفهمين ما معنى أن أكون أنا المخطئة؟ سيكون ذلك شيئا مرعبا. ما هو اليوم؟

روزينا: الجمعة.

جينوفيڤا: نعم، صحيح يوم الجمعة، ولكن في أي شهر، وفي أي سنة نحن؟

روزينا: في تشرين الأول في العام ١٨٩٠.

جينوفيڤا: تسعون (تتنفّس بارتياح).. أنت المخطئة ولست أنا. حسنا كيف يمكن أن يكون الوقت قد تأخّر؟ فعندما رحل خطيبي كنت أكبر منك بقليل. وقد رسا بمركبه منذ سبع رسائل. وأذكر أنني ولدت في منتصف القرن.. تاريخ من المستحيل نسيانه. هل أنت منتبهة. في المنتصف تماما. ١٨٥٠ (تتوقف عن الكلام فجأة):

في أي عام قلت إننا الآن؟

روزينا: في التسعين.

جينوفيڤا: (بصرامة. صوت غير مسموع) لا فائدة، احذفيه.

«روزينا تشعر بأن الدموع ستنفجر من عيونها، تركض نحو الباب الكبير. جينوفيڤا توقفها بتسلّط واضح»:

قفي! إلى أين كنت تريدين الذهاب؟!

روزينا: إلى أي مكان، فقط كنت أرغب في الخروج؟!

جينوفيڤا: ولماذا بهذه الطريقة المباغتة؟

روزينا: لأني لم أعد أحتمل أكثر، ولأني أريد تقديم يد المساعدة لسيدتي ولا أصلح. أنا لا أصلح لشيء.

جينوفيڤا: على العكس تماما، فأنت أفضل من يستطيع مساعدتي،

لأنك ترعرعت في الجبل، وتعرفين جميع الأشجار، قولي لي: أي شجر، أي شجر يكون ليس بصنوبر ولا تفاح، ليس ببندق ولا سرو؟!

روزينا: سيدتي..

جينوفيفا: أجيبيني.

«تتمتم بصوت منخفض ثم يعلو رويدا مليئا بالسخط والغيظ»

روزينا: هل هي شجرة الكستناء؟

جينوفيفا: لا.

روزينا: هل هي شجرة الكرز؟

جينوفيفا: لا.

روزينا: هل هي شجرة الحور؟

جينوفيفا: لا.

روزينا: هل هي شجرة البلوط؟

جينوفيفا: لا.

روزينا: هل شجرة الدردار؟

جينوفيفا: لا.

روزينا: شجرة الحور الأسود؟

جينوفيفا: لا.

روزينا: هل هي شجرة نخيل هندي؟

جينوفيفا: لا.

روزينا: شجرة الغار؟

جينوفيفا: لا.

روزينا: شجرة اللوز؟ شجرة الزيتون؟ شجرة البلح؟

جينوفيفا: لا. لا. لا. فهذه الأرض مليئة بكل هذه الأشجار، لهذا لا تصلح... خطأ.

مخطئة، ابتري هذه الأشجار، احذفيها كلها، ما أريده هو شجرة غريبة كبيرة، ومن مكان بعيد.

روزينا: ولكن كيف يمكنني أن أعرف الأشجار الغريبة عن أرضنا؟

جينوفيفا: يجب عليك أن تعرفي أكثر.. تذكري أكثر، إذا لم نعرف اسم هذه الشجرة فلن أستلم ولا رسالة من أمريكا، ومن دون هذه الرسالة لا يمكن لحياتي أن تستمر.

«تهزّ كتفيها بضيق محاولة ألا تصرخ»

أخبريني بكل أسماء الأشجار حتى نجد اسم شجرتي بسرعة (روزينا تتفجر بالبكاء)..

لا. البكاء سهل جدا، بكيت أنا آلاف المرات، ولكن لم

أحصل على نتيجة، أنا لا أطلب منك دموعا، الذي أريده هو أسماء أشجار، أجيبيني.. أجيبيني...

«تظهر أماندا، وتنهي هذا الموقف»

أماندا: من دون فضائح لقد سمعت كل شيء من الخارج، دعي الفتاة تصعد إلى غرفتها.

«عندما ظهرت أماندا، تماسكت جينوفيڤا، وسيطرت على نفسها، وتظاهرت بالسيادة، وتجيب روزينا وكأن أماندا غير موجودة»

جينوفيڤا: ماذا يجري يا روزينا؟ هل دخل أحد؟ أم هي ريح دخلت من الشارع؟!

أماندا: ألا ترين.. أنه يكفي وضعنا في هذا الموقف المضحك مع طرحتك البيضاء لأيام الجمع، ومروحتك الصدفية؟

جينوفيڤا: الرياح أتتنا هذا اليوم بشكل صاخب، وكل شيء سأقلبه، وأعلم كيف أعمل بجد كي أدع المنزل كما كان دوما، كل شيء في موضعه، وكل شخص في مكانه المناسب.

أماندا: يكاد ينفذ صبري المتبقي، اصعدي إلى غرفتك إذا أردت.

جينوفيڤا: لن أغادر، يكفي إعطاء أوامر في منزل والدي، ومنزل جدي، ومنزل جد جدي. ألا يوجد رجل يأمر هنا في هذا البيت؟

أماندا: رامون لديه ما يفكر فيه.

جينوفيڤا: رامون؟ منذ متى تنادي الخادمات رامون بدلا من السيد؟!

أماندا: منذ أن طلب هو ذلك، أتمنى أن تعرفي هذا، ومع ذلك في بعض الأحيان يرغب السادة بالامتثال لأوامرهم.

جينوفيڤا: روزينا، لا أدري إذا كنت نسيت أعمالا عليك أن تعمليها في الخارج.

أماندا: لديها الكثير من العمل هنا في الداخل.

جينوفيڤا: ألم تسمعي؟ قلت لك اخرجي!

أماندا: وأنا أقول: لا!

جينوفيڤا: لا أرغب في سماع أي كلمة، أكثر من الكلمة التي أقولها هنا، اخرجي.

أماندا: (مستهزئة، ومن ثم بصيغة الأمر تقول): امكثي مكانك.

جينوفيڤا: اخرجي.

أماندا: امكثي هنا.

جينوفيڤا: اخرجي.

«روزينا تنظر من وجه جينوفيڤا إلى وجه أماندا، ترددت، خافت وفي النهاية خرجت راكضة، وأماندا تتابعها بنظرها بضع خطوات»

أماندا: روزينا:..! روزينا!

جينوفيفا: (تتنفّس مرتاحة) ليس سيئا! إن الذي شاهدته الآن يعني أنه لايزال يوجد شيء في هذا المنزل مستمر على ما هو عليه.

أماندا: هل تعتقدين أن هذه المتوحشة، والمتربية بين الماعز ستتعلم شيئا جديدا؟

(تقترب بشموخ وتسلط)

آه. أأنت التي لا تريدين أن تسمعي؟

جينوفيفا: بالنسبة إليّ كل شيء غير متعب، وأنت لم تتركي ولاكلمة بذيئة إلا واستخدمتها لإهانتي، ولكن أشك في معرفتك بشيء لا تعرفينه أنت إلى الآن. أنت محذوفة بأكملك، أنت غير موجودة. أنا لا أراك!

أماندا: هل باستطاعتك أيضا حذف وإلغاء ساعات اليوم؟ على كل هناك ساعة لا تعرفين كيف يمضيها صاحب البيت، وليس باستطاعتك معرفتها أبدا، تمضي هذه الساعة بلا كلمات، عبارات مظلمة غامضة مع الشعر المتهدّل، وعلى رائحة الجياد غير المقيدة! هذا مايؤسفني أن تسمعه العوانس!

جينوفيفا: (غاضبة، متشنّجة) كفى! (تسيطر على نفسها من جديد):

إذا أرسلوك في يوم ما إلى المدرسة، حينها قد

تتعلمين كيف تسلكين سلوك الرجال.

أماندا: (غير مركّزة للحظات): مثل الرجال؟!

جينوفيفا: تماما الرجال لا يتحدثون بمثل هذه الأشياء عندما تكون أمامهم امرأة محترمة (تتجه بهدوء إلى الدرج، أخذت مكانها على أول درجة بعظمة وكبرياء): خنزيرة!

«تصعد، تحرّك مروحتها، وأماندا تهمهم بكلمات غير مفهومة، وهي تنظر إلى أسفل قاعدة السلم»

أماندا: ها أنت مسست كبريائي! يا لك من امرأة بشعة، عانس، جافة، اللعنة عليك، من سلالة المجانين أنت.

«يصل رامون مرتديا طقما من المخمل ذي أزرار فضية، وقميص فاخر، وحذاء ذي مهماز. إنه جاف، ولكنه يتصرّف بشكل طبيعي وببساطة، إنه همجي مثل حصان جامح جميل»

(أماندا ورامون)

رامون: مع من كنت تتكلمين؟

أماندا: مع من تعتقد؟ مع شقيقة زوجتك، دوقة خيال المآتة! إلى متى سأتحمّل إهانتي على يديها، وأمام خدمكم؟

رامون: ياه.. هذه التعيسة لا تعرف ماذا تقول.

أماندا: لا. عندما تتحدث عن خطيبها وعن أمريكا، وبعيدا

عما يخصك فهي تتصرف معنا كما يحلو لها ويروق، ودائما تقول ما ترغب في قوله.

رامون: دعيها بسلام، لا أريد مشاجرات نسائية في منزلي.

أماندا: أقول لك إنها تشتمني علانية.. أدعها بسلام. أهذا ما تريده أن يحدث؟

رامون: لن أتعب رأسي بهذه المشاكل، هناك أمور أكثر جدية جديرة بالإصلاح إذا كان هناك طريق لإصلاحها. (يجلس متعبا): أشعر بأن حنجرتي يابسة.

أماندا: أترغب في كأس من المشروب؟

رامون: كأس جين. (أماندا تحضر الكأس وتقدمه لرامون، رامون ينظر إلى ساعته): هل حضر السيد جرمان؟

أماندا: انتظرك طويلا.

رامون: والولد؟

أماندا: هو في الطابق العلوي.

رامون: فوق! في الطابق العلوي! ماذا يعمل هناك مغلقا على نفسه في هذا اليوم المشمس؟

أماندا: هل الولد من اختصاصي؟

رامون: إذا تركنا الولد دائما بين يديها فسيكون قطعا مثلها.

أماندا: هناك يجب أن تكون. هو دمك.

رامون: من دمي. لا. في كل القرى المحيطة هناك أولاد من صلبي.. وكلهم أقوياء وأصحاء.

أماندا: ولكن ليس منهم من يهمك؟ لماذا هو وحده؟

رامون: أتعتقدين أنني أعرف؟ إنه يصيبني بالخجل وبالشفقة. إنني أشعر كأنه سُبة أو لعنة. ومع ذلك لو حاول أحد أن يصيبه بمكروه أو أن يمد له ولو إصبعا واحدا فإنني سأقتله وأنا مغمض العينين. شئت أم لم أشأ.

أماندا: أتريد أن أقول لك أنا ودون كل هذه الثرثرات. لأنك ككل الرجال. فقط ما يهمكم هو الابن الشرعي حتى لو كان مجرد كتلة من اللحم دون قدرة على الكلام كما هو الآن.

رامون: (ضاربا بقبضته على المائدة) اسكت. أنا وحدي من يستطع أن يتحدث بشيء ضد أورييل. لا أحد آخر. (يشرب).

«أماندا تجلس على ركبتيها، تخلع حذاءها، تضعه فوق تنورتها»

أماندا: والخالة.. لماذا تحافظ عليها معك؟ أيضا حبّا فيها؟

رامون: هي شيء آخر.. تملك سرّا وعليّ أن أكتشفه.

أماندا: (ضحكة مضغوطة): سرّ حمقاء، مثل الأشجار البعيدة والرسائل من أمريكا، أليس كذلك؟

رامون: كلا. الحقيقة إنني على وشك الإفلاس، وهي وحدها

تملك ثروة مختفية، ولا أحد يعرف أين هي؟ عملات قديمة، مجوهرات الآباء والأجداد، إنها الثروة التي باستطاعتها إنقاذي. ولكن أين خبأتها؟.. أين؟

أمن المعقول أن تكون هي نفسها قد نسيت أين خبأتها؟

أماندا: (تنهض): لم أؤمن مطلقا بحكاية هذا الكنز المخبأ. ومع هذا، من دونه أيضا أنت تدافع عنها، وتحميها..! مثل الولد! لأنها هي أيضا شرعية، ابنة السيد الكبير.. وأخت زوجتك!

رامون: أمنعك من ذكر اسمها!

أماندا: لماذا..؟! ألأنها كانت امرأتك؟

رامون: لأنها متوفاة، لا تتحدثي أكثر عن أهلي، أتسمعين؟ (يشرب).

أماندا: أهلك. دائما أهلك! أحب أن أعرف من أنا في هذا البيت؟

رامون: ألا تعرفين؟!

أماندا: بحاجة أن أسمع ذلك منك، بوضوح، ولمرة واحدة، من أنا هنا؟!

رامون: أنت التي أثق بها، أنت مفتاحي، أنت الوصيفة التي تأمر الأخريات.

أماندا: ولا شيء غير ذلك؟

رامون: هل سبق لي أن قلت لك مرة واحدة غير ذلك؟

أماندا: حسنا.. على الأقل عليّ أن أشكرك لوضوحك هذا أمامي. وما دام كذلك فجميع حقوقي تنتهي في المفاتيح..!

رامون: حق، ولا شيء من ذلك، إذا أخذتك معي إلى حفلة، أو أهديتك بعض الأقراط، فهذا يرجع إليّ، أنا لا أريد نساء ذوات حقوق.

أماندا: كنت تستطيع أن تفكر بشكل أفضل في هذا الأمر قبل الليلة الأولى التي دخلت فيها غرفتي.

رامون: في لحظة كتلك المرء لا يفكر. يدخل.

أماندا: والمرأة تنتظر. حقيقة! لترى السيد الذي أهداها الأقراط، سيهديها علاوة على ذلك ليلة كاملة.

«تقترب منه، تنظر إليه محدقة»

وإذا كانت امرأة المفاتيح لها عزّة نفس وكبرياء، فترحل؟

رامون: لن تتأخر في العودة.

أماندا: واثق أنت من أنك تملكني؟

رامون: لا، ولكنك أنت من قلت لي ذلك أكثر من مائة مرة. إذا لم تكن ذاكرتي سيئة. فلقد قلت ذلك ليلة أمس.

أماندا: شكرا لذاكرتك، ولكن أقسم لك أن ما سمعته في تلك الليلة قد سمعته لآخر مرة.

رامون: كفى، كفى أماندا، لا تصدعي رأسي، ودعينا نشرب بسلام.

«يملأ الكأس ويقدمها إليها»

أماندا: لست عطشى أيها السيد المالك.

رامون: العطش غير مهم، إنها دعوة، ولا تناديني بالسيد المالك. اشربي.

أماندا: أنا لا أشرب إلا عندما أرغب أنا سيدي المالك.

رامون: ناديني رامون. اشربي (ينهض، يتحرك نحوها).

أماندا: لا أستطيع، سينقلون الذرة إلى مستودع الغلال، وينقصهم امرأة المفاتيح، سيدي المالك.

رامون: فيما بعد. اشربي أولا. ورامون!

«تأخذ الكأس من يده، تنظر إليه وجها لوجه، وفجأة ترمي الكأس في صدره صارخة»

أماندا: هكذا..

«رامون يقف بلا حراك، شاحبا ولكن دون أي تعبير. ينظر إليها، لا تغادر نظراته وجهها، يملأ الكأس من جديد، يقترب منها،يقدمها إليها، وبصوت مبحوح»:

رامون: اشربي..

«أماندا مترددة والكأس بيدها. فترة صمت قصيرة. وفي النهاية تخفض عينيها وتشرب رشفة واحدة»

رامون: هكذا..!! أحب الناس الذين يمتلكون الحمية (يقترب أكثر) ولكن للمرة الثانية. وليبقى ذلك واضحا أمامك فإنني لن أتساهل. أليس كذلك؟ (توافق بصمت دون أي إجابة)

إذن كل شيء كما هو ينبغي ويجب، أعطيني المنديل.. (في حركة منها لإخراجه من الجيب) منديل الصدر. «مازالت خافضة العينين. تخرج منديل صدرها وتعطيه إياه»

رامون: الآن يمكنك الذهاب إلى مستودع الحبوب.

«تعطيه الكأس، تهم بالخروج، تتوقف»

أماندا: منديلي..؟

رامون: فيما بعد، ليلا، يجب أن تسمعي ذلك بأذنيك. منذ وقت لم أشاهدك جميلة مثل اليوم.

«تهم بالخروج ثانية»

أماندا: (بقهر) أيجب عليّ أن أشكرك؟

رامون: هذا غير لازم.

أماندا: إذن شكرا يا رامون.

«تخـرج، رامـون ينـظر إليـهـا والمنديل بيـده، يمسح به شفتيه.

يشرب بقية الكأس، يتناول قبعته متأهبا للخروج.

أورييل ينزل دون أن يلاحظ وجود أبيه، إلا في نهاية

الدرج. يقف عندما يراه، وينوي الرجوع».

(رامون وأورييل)

رامون: أورييل.

«يتـــراجع أورييل خطوة إلى الخلف وهو ينظر إلى والده»

لماذا تتجنبني دائما..؟ اقترب.

«أورييل يعود ليركض صاعدا الدرج، والده يلحق به ويمسكه من ذراعه، ويعيده ساحبا إياه بقوة»

رامون: اهدأ، ارفع عينيك وانظر إليّ، من أدخل إلى عقلك الخوف مني؟!

«يضع يديه الاثنتين فوق كتفيه»

رامون: انظر إليّ تماما كما تنظر إلى الخالة جينوفيفا، لكي أرى ما إذا كنت أستطيع قراءة نظراتك، فأنا يروق لي أن أفهمك.. لا أعرف.. أخجل عندما أقول الكلمات التي تقولها النساء، ولكني أحبك. أتعرف! أنا أحبك.

لماذا لا نستطيع أن نصبح أصدقاء؟ أجبني بأي إشارة، أي شيء.

«أورييل يشيح برأسه»

رامون: ولكن لماذا، لماذا يا أورييل، لماذا؟

«أورييل يبدأ بصعود الدرج»

رامون: لاتفعل.. ليس هناك داع لذلك. أنا من يجب عليه أن يذهب. ابق معها.. ودائما معها!

«أورييل من دون حركة وظهره إلى أبيه، مستندا إلى درابزين الدرج. رامون يخرج.

أورييل ينزل الدرج، ويجلس بعيون زائغة محدقة.

فجأة يخبّئ رأسه بين ذراعيه على الطاولة مثل

الذي يحاول أن يسيطر على بكائه أو يخفيه،

في أعلى الدرج تظهر جينوفيڤا مبتسمة، تتكلم

بفرح بينما كانت تهبط الدرج»

(جينوفيڤا وأورييل)

جينوفيڤا: أورييل هيا بنا نذهب إلى أعلى الجبل، هناك قارب بعيد يمر، إني أسمع صوت نفيره، المرة الأخيرة التي وصلتني فيها رسالة من أمريكا، أيضا كان يوما مشمسا مثل اليوم، هيا بنا.

«تصل إلى جانبه»

جينوفيڤا: لكن ما بك؟! لنرى. (ترفع وجهه) لماذا أنت حزين؟

«تجلس بجانبه وتضع يدها على كتفه»

جينوفيڤا: أجبني يا حياتي، هل كان والدك هنا؟ عندما يكون هنا يحدث لك الشيء نفسه دائما، هيا اهدأ، لا تتعب نفسك. انظر إليّ جيدا، بعمق، بوضوح، وفكّر بقوة، فكّر جيدا مثل كل المرات السابقة. أنا لا أحتاج إلى كلمات. أنا أسمعك بدقة وأنت تفكر. فكّر بصوت عال.. أورييل... فكّر.

«أورييل متأخرا دقيقة كما لو كان يبذل مجهودا كبيرا، بعد ذلك يتكلم بطبيعة مدهشة، ابتدأ بصوت منخفض، وبدأ يعلو قليلا قليلا»

أورييل: لماذا الجميع مصمّمون على أن يجعلوني أتألم؟

جينوفيڤا: أحيانا لا أفهمك يا عزيزي، فكر بصوت أعلى، أقوى، انظر إلي، ماذا كنت تقول؟

أورييل: لماذا جميع الناس مصممون على أن أتعذب؟

جينوفيڤا: من هم جميع الناس؟

أورييل: جميعهم ما عدا أنت وأنا. والدي وكل الفتيان، وهذه المرأة. لماذا هم مصممون على أن أفعل مثلهم، وأصرخ مثلهم لأقول الأشياء؟

جينوفيفا: المساكين لا يملكون طريقة أخرى للتفاهم، يجب أن نغفر لهم.

أوربيل: وهم.. لماذا لا يغفرون لنا؟

جينوفيفا: لأننا مختلفون. فأنت دوما تسمع أباك يقول لي: إلى أين تذهبين بهذه الطرحة البيضاء؟... لا أحد يمشي في الشوارع على هذه الحالة. لماذا تصعدين الجبل مع هذه المروحة؟ لا أحد يذهب إلى الجبل مع مروحة... هل تفهمني؟ هم يستطيعون أن يغفروا لنا أي شيء ماعدا أن نكون مختلفين عنهم.

أوربيل: أنا لا أريد أن أكون مختلفا عنهم. يا ليتني أصبح مثلهم.

جينوفيفا: لماذا؟

أوربيل: لكي أستطيع العيش واللعب مع الجميع، حتى لا يضحكوا ويشيروا إليّ عندما أمر بجانبهم، ويقولون: «من هنا مرّ. الحالة غريبة، الحالة غريبة».

جينوفيفا: هيه. هم أيضا يشيرون إليّ عندما أمرّ، وبعضهم أكثر جبنا لدرجة قذفي بالحجارة خفية، ولكن أنا لا ألتفت إليهم لأغيظهم!... ألست فخورا بكونك مختلفا عنهم؟

أوربيل: لا يا خالة، فأنا أقل قوة منك. وأني أود أن أرتدي ثيابي بطريقة رديئة مثل الآخرين. أضحك، أسرق الفواكه، أتشاجر مع الآخرين، ولكنهم لا يسمحون بذلك، لأني أختلف عنهم. حتى الاسم.. جميعهم

يسمون: خوسيه، أنطونيو، أوخوان. أما أنا فلماذا أحمل هذا الاسم المضحك «أورييل»؟

جينوفيفا: ألا تحبه؟ أورييل هو اسم أحد الملائكة ويعني «شرارة الرب» أنا انتقيت هذا الاسم لك.

أورييل: أنت؟

جينوفيفا: هل أخطأت؟

أورييل: (يضع يده فوق يدها بطريقة ناعمة) كلا يا خالة، فهو اسم جميل ورائع.

جينوفيفا: أهذا هو سبب حزنك؟

أورييل: لا.. أحاول يائسا أن يفهمني الآخرون، ولكن من دون جدوى. لا الفتيان ولا الرجال، حتى ولا النساء. أنظر إليهم واضعا روحي كاملة في عيوني، لكنهم جميعهم يمرون دون أي صدى. كلهم ما عداك أنت. فلماذا لايفهمني الآخرون؟!

جينوفيفا: أنا أيضا لا يفهمني الآخرون، ولهذا السبب لا أستطيع أن أملك أصدقاء، ولهذا السبب أيضا تجدني عندما يأتي زائرون أغلق على نفسي غرفتي العليا.

أورييل: لكن لماذا نحن تكفينا نظرات العيون، بينما هم يحتاجون إلى الصراخ والكلمات؟

جينوفيفا: لا أعرف يا بني (تنظر حولها، تخفض صوتها بشكل سري) على ما أعتقد أنهم.. يملكون شيئا لا يعمل

بصورة حسنة.

أورييل: هل علينا أن نتابع على هذه الحالة دائما؟

جينوفيفا: كلا، أنا سأعلّمك أن تتكلم بصوت مرتفع، وكل ذلك يعتمد على الكلمة الأولى. انظر إليّ ولا تفكر في أي شيء آخر، وقل بقوة كما أقول أنا.. لا.

أورييل: وهل يجب أن تكون هذه هي الكلمة الأولى؟

جينوفيفا: هذه الكلمة هي الأكثر أهمية.

أورييل: ألا يمكن أن تكون أي كلمة أخرى؟

جينوفيفا: كلا.. الكلمات الأخرى يكفي التفكير فيها، مثلما تفعل أنت، ولكن هذه الكلمة يجب أن تقولها بصراخ، وبنفس طويل، وبدم نافر، تكسر الزجاج ويسمعها النائمون بعيدا. قليلا من القوة يا أورييل. أغمض عينيك، وشدد قبضة يديك، وقل بقوة مثلي... لا...!

أورييل: لا أستطيع يا خالة، إنه فوق طاقتي.

جينوفيفا: يجب أن تستطيع، وإلا لن تصبح رجلا أبدا.

أورييل: ولكن لماذا تحديدا هذه الكلمة الأكثر قسوة من بين الكلمات الأخرى؟

جينوفيفا: لأنها الكلمة التي يستخدمها كل أفراد عائلتك..!

جدي. الابن البكر، صاحب هذا البيت نال على هذه الكلمة الثروة بتوقيعه على ورقة قذرة كلمة لا. جدك

مات في الحرب، وكان له الشجاعة أن يقول.. لا.

وعندما حاولوا إقناعي بأن خطيبي قد تزوّج امرأة أخرى هناك، أيضا قلت لهم.. لا... ومنذ أسابيع، ومنذ أعوام وأعوام، وأنا أحب كلمة لا... لهذا يقولون عني بأني غريبة، جميع أهلك تعلّموا أن يقولوا كلمة لا... والآن يجب عليك أن تبدأ أنت.

قل معي.. لا.. لا.. لا (صمت) لماذا تصمت؟ ماذا يحدث لك؟

أورييل: لا شيء، فقط كنت أفكر في الاختلاف الموجود بينك وبين أمي، على الرغم من كونكما شقيقتين. هي دائما كانت تختار لي الكلمات التي لا تسبب أذى لأحد، وعندما كنت صغيرا لم تكن تدعني أمتطي الحصان، وكانت تغلق علي بمفتاح صندوق السكاكين.

جينوفيفا: أمك.. كانت ناعمة أكثر من اللازم، وكانت تغفر لهم جميعا. وهكذا قتلت نفسها، شيئا فشيئا من الألم، وتأكد لو كانت تعيش معنا اليوم لما فكرت بالطريقة نفسها التي فكرت بها في السابق.

أورييل: إنك تستمرين بطريقة تفكيرك نفسها، والجد مثلك هو الذي زرع كلمة لا.. أولا.

جينوفيفا: كانت عزة نفسه. فمن أجل أن يقول كلمة نعم كان يخفض رأسه إشارة الموافقة. بينما كان من أجل أن يقول كلمة.. لا.. كان يرفعه، وجدك لم يخفض رأسه

أبدا. وكانت كلمة لا آخر كلمة قالها عندما...

«توقفت بشكل فجائي، انكمشت على نفسها، وعادت لتقول مستغربة» ماذا قلت عن الجدّ؟!

«تقترب نحوه، وتأخذ وجهه بين كفيها»

جينوفيفا: انظر إليّ يا أورييل. ماذا قلت؟!

أورييل: أنا لا أقول هذا، هم الذين يقولون عندما يحضرون إلى هنا.

جينوفيفا: عندما يأتون؟!.. إلى أين؟!

أورييل: إلى هنا.

جينوفيفا: أحلفك بأعز شـــيء عندي يا أورييل. جدك وأمك يحضران إلى هنا؟!

أورييل: آليسيا أيضا. ثلاثتهم.

جينوفيفا: ولكن..! أتعي ما تقول؟!

«تركع أمامه، تنظر إليه بإمعان ويداها على كتفيه»

جينوفيفا: أمك توفيت عندما كان عمرك أربعة عشر عاما. أما جدك فمات قبل أن تولد. أما المسكينة آليسيا.. أعتقد أنك تحلم!!..

أورييل: هذا ما اعتقدته في البداية. ولكن لا.

جينوفيفا: أأنت رأيتهم..؟!

أورييل: أراهم كما أراك..

جينوفيفا: وتحدثت معهم؟!..

أورييل: طبيعي. معهم الأمر سهل جدا. فهم لا يحتاجون إلى كلمات.

جينوفيفا: (تنهض قلقة): لا.. لا.. غير معقول يا أورييل، أقول لك هذا غير ممكن!

أورييل: (يبتسم): غير ممكن؟! هذه هي المرة الأولى التي أسمع منك هذه العبارة السخيفة التي يقولها الآخرون.

جينوفيفا: كيف يمكنك رؤية جدك إذا كنت لا تعرفه؟

أورييل: أراه مثل هذه الصورة الكبيرة الموجودة في الصالة. أراه بالملابس التشريفية الفاخرة البيضاء. ومن دون سيف.

جينوفيفا: وأمك؟

أورييل: مثل الصورة أيضا بثياب الأعياد. أما آليسيا فأراها بقبعة القش الكبيرة.

ثلاثتهم يرتدون الثياب البيضاء.

جينوفيفا: أخفت منهم؟

أورييل: خوف تملكني من جدي ومن أمي ومن صديقتي الوحيدة آليسيا؟ ولكن خالتي. أنت الآن من يبدأ بعدم فهمي؟!

جينوفيفا: لا... أعتقد أن الحق معك، ما حدث لم أفكر فيه مطلقا. ولكن عليّ أن أتعود عليه، ولكن هل أتوا مرات عديدة؟!

أوربيل: يحضرون فقط عندما يكاد الحزن يمزّق أعماقي. وأكاد لا أقوى على احتماله. عندئذ يشعرون بي ويحضرون. وعندما يذهبون يكون كل شيء قد سكن كما هم ساكنون.

جينوفيفا: (تسير فرحة هامسة) هذا رائع.. هذا رائع.

أوربيل: هل قلت شيئا..؟

جينوفيفا: لا.. لا شيء. إنني أعود نفسي، ولكن دعني، واصعد أنت لترتاح قليلا.. أعتقد أنك متعب.. صحيح؟

أوربيل: جدا...

جينوفيفا: اهدأ يا بني.. (تقبّله من جبينه بعطف) كم أنا فخورة بك.

أوربيل: بي أنا...؟ لماذا..؟

جينوفيفا: لأنك أول رجل في هذا المنزل يصل إلى أبعد مما وصلت إليه.

«تراه يصعد الدرج. تنظر إليه نظرة سلام وتحية أخيرة.

تنفرد باحثة بعصبية في الخزانة، في رفّ الكؤوس.

تقلب الجرات، الزجاجات، تنادي»:

روزينا... روزينا...

«تدخل روزينا»

روزينا: سيدتي..!

جينوفيفا: أشعر بأن حنجرتي جافة كالرمال، ولم أجد زجاجتي شراب اليانسون؟

روزينا: ألا يشبهه مشروب الجين؟

جينوفيفا: (بانفعال) روزينا، السيدات يشربن يانسونا حلوا، أين هي زجاجتي؟

روزينا: السيدة أماندا أغلقت عليها بالمفتاح.

جينوفيفا: كان عليّ أن أتوقع ذلك، يكفي أن أحب هذا النوع من الشراب، حتى تنتزعه مني هذه النذلة؟ ولو تمكنت لمنعت عني الخبز. لقد منعت حتى ورق اللعب.

روزينا: إنه مقفل عليه أيضا مع الزجاجة.

جينوفيفا: أيضا..؟ لاحظت. كل أوراقي يسرقونها. أوراق اللعب خبّؤوها، رسائل خطيبي حرقوها.. ولكن كل مايفعلونه غير مجد، لأنني أنتظر الرسالة الأخيرة الجميلة التي يدعوني من خلالها، ولو وقفت ضدي كل النساء الأشرار في العالم .. ساحرة! ساحرة! ساحرة!

«تهدأ فجأة، وترسم خطا بحيوية في الهواء»

محذوفة...! اسمعي روزينا، لا تفكري بأن بي شيئا سيئا، ولكن عندما أكون هكذا عصبية المزاج، أحتاج إلى قليل من اليانسون. اذهبي إلى الحانوت دون أن يراك أحد، وأحضري لي واحدة.

روزينا: صاحب الحانة لا يبيع أي شيء بالدين.

جينوفيفا: من قال لهذا الوضيع إنني لن أدفع له؟ سأشتري لاقارورة واحدة، ولا مئة، بل ألفا إذا لزم الأمر.

«تنظر حولها، تخفض صوتها»

أيوجد أحد في البيت؟

روزينا: الآن لا أحد في البيت. كلهم في مستودع الحبوب مع الذرة.

جينوفيفا: هل تعرفين زجاجة الأنيس التي بداخلها شجرة من الثلج..؟

روزينا: المزركشة..؟

جينوفيفا: هي نفسها.. اجلبيها بطريقة خفية.

روزينا: والنقود..؟

جينوفيفا: انتظري لحظة. آه.. اخرجي وصلّي صلاة الإيمان، ثم عودي.

روزينا: مستحيل يا سيدتي.

جينوفيڤا: مستحيل.. لماذا؟!

روزينا: لأنني أعرف كيف أصلي هذه الصلاة.

جينوفيڤا: (مرعوبة) روزينا...!

روزينا: أنا أعرف أن هذا شيء فظيع، جدتي كانت تقول إنه من دون هذه الصلاة لا تكون النجاة من النار، ولكن ألا تجدين أن الوقت مناسب لعمل «بيض مسلوق»؟

جينوفيڤا: سنرتب ذلك في هذا المساء ولكن هل تعرفين الصلاة الربانية؟!

روزينا: هذه نعم...

جينوفيڤا: هذه الصلاة أقصر من تلك، فصلّيها ثلاث مرات.. اخرجي.

روزينا: أنا ذاهبة.

«تخرج، وفجأة تقف وتعود ملهمة بفكرة جديدة»

لكن كيف لم يخطر ببالي من قبل؟ هل يفي بالغرض مشروب البرتقال؟!

جينوفيڤا: لماذا..؟

روزينا: البرتقال شجرة جميلة جدا، ويقولون إنها مستوردة.. ليست من هنا.

جينوفيڤا: آه. البرتقال غصونه بيضاء مثل العروس، ياللحسرة

كونه ليس هو!

روزينا: إذن هل يجب حذفه أيضا..؟

جينوڤيڤا: كلا يا روزينا، البرتقال لا يصلح لي أيضا، دعي ذلك الآن..

«تخرج روزينا. جينوڤيڤا تغلق وراءها الباب، تنظر في كل الاتجاهات، لتتأكد من أنها وحدها، تطقطق بأسنانها لتحدث أي ضجيج، تخرج قرميدة من المدفأة، تضغط على زر، وقسم داخلي من أحد الرفوف يُفتح مثل صندوق مغلق سرّي. جينوڤيڤا تبحث بداخله، تسمع طرقا على الباب، وصوت روزينا يناديها كي تفتح بسرعة»

صوت روزينا: آنسة جينوڤيڤا... سيدتي...

جينوڤيڤا: (بعصبية) دقيقة واحدة..! لا تفتحي...

«تعيد كل شيء إلى مكانه بأقصى سرعة ممكنة»

صوت روزينا: سيدتي...

جينوڤيڤا: ادخلي..

«تدخل روزينا منفعلة بشكل لا يدعها للتحدث»

هل حضر أحد..؟

روزينا: نعم يا سيدتي.

جينوفيڤا: أهو السيد..؟

روزينا: كلا يا سيدتي.

جينوفيڤا: تلك المرأة..؟

روزينا: لا يا سيدتي.

جينوفيڤا: من..؟ تكلمي مرة.. واحدة!

روزينا: سيدتي.. إنه أنطون بن أنطونا ساعي البريد..

جينوفيڤا: ساعي البريد..!؟

«ترتجف مندفعة لترمي بنفسها على الباب، ولكن فجأة تسيطر على نفسها، وتمكث صلبة ماكثة مكانها، وتصرخ بصوت مدو»

جينوفيڤا: هذا غير صحيح..

روزينا: أقسم لك يا سيدتي.

جينوفيڤا: منذ أعوام لم يدخل ساعي البريد إلى هذا المنزل!

روزينا: (تقف عند الباب الكبير) ولكنه حضر على حصان مع حقيبة محزومة.

جينوفيڤا: لا ... (تعطي ظهرها إلى البوابة) مررت مرات عدة بلحظة كهذه، ولا أريد أكثر من ذلك الأمل. إن ساعي البريد قبل أن يدخل طريق الجسر يغير طريقه باتجاه طريق شجر البندق.

روزينا: هذه المرة لا... إنه يعبر طريق الجسر.

جينوفيفا: الشيء نفسه.. فعندما ينهي الجسر سيتجه باتجاه طريق الدير.

روزينا: إنه ينزل الآن عن حصانه.

جينوفيفا: ينزل عن حصانه..؟!.. إلى أين ينظر؟

روزينا: ينظر إلى هنا.. إنه يأتي إلى هنا.. انظري يا سيدتي.. إنه الآن هنا..

جينوفيفا: (مسحورة مفتونة بنفسها في النهاية) آه.. إذن هذا صحيح..؟

بسرعة أحضري لي المروحة يا روزينا، مروحتي يجب أن تنتظر معي أيضا..

«روزينا تجلب لها المروحة. تبدأ جينوفيفا بتهوية نفسها

بشكل مضطرب مع شيء من الرعب.

عند الباب الرئيسي يظهر طيف أنطون ساعي البريد

بقبعته المائلة، وحذائه الطويل، مع حقيبته الجلدية المزيّنة بشعارها الذهبي، حقيبته هذه مليئة بالرسائل المختومة»

(أنطون، جينوڤيڤا، ومن ثم يدخل أوريل)

أنطون: سعيد يومك يا آنسة جينوڤيڤا.

جينوڤيڤا: يومك سعيد يا أنطون. لم أرك منذ أعوام هنا في هذا البيت؟

أنطون: (يبحث داخل حقيبته) ليس ذنبي يا سيدتي. لو كان الأمر بيدي فلن توجد فتاة أو امرأة متزوجة دون استلام رسالة كل يوم.

جينوڤيڤا: (تهوي بمروحتها بعصبية وبعيون ذابلة) هل وصل لي أي شيء اليوم؟

أنطون: اليوم..؟ نعم.. (يخرج رسالة من حقيبته).

جينوڤيڤا: أخيرا... ما الختم الذي تحمله؟ أهو ختم السفينة ذات الأشرعة؟

أنطون: إنه يحمل صورة الملك..

جينوڤيڤا: أي ملك..؟ ومنذ متى يوجد ملوك في أمريكا..؟!

أنطون: إنها ليست من أمريكا.

جينوڤيڤا: لا.. إذن من يكتب لي إذا لم تكن الرسالة من أمريكا..؟

أنطون: إنها ليست لك، إنها للسيد صاحب البيت.

جينوڤيڤا: لصاحب البيت؟

«تتمايل بضعف، تتهادى على مقعد مجاور، تنزلق المروحة من يدها»

جينوفيفا: هذا ليس عدلا. يارب هذه المرة ليس عدلا! فالسيد صاحب البيت يملك قوته وبندقيته وأرضه وحصانه، لماذا هو نفسه من يتسلم الرسائل..؟!

أنطون: لا تحسديه، إنها من المحكمة، ومن المحاكم لا يأتي أبدا شيء جيد.

«تتناول جينوفيفا الرسالة في صمت»

جينوفيفا: هل تسمح لي برؤية الحقيبة عن كثب؟ فقط أريد لمسها بعض الوقت.

أنطون: (يقترب) أنت تأمرين يا سيدتي.

جينوفيفا: (دون أن تقف، تداعب الحقيبة بنعومة ولطف):

جينوفيفا: يا لها من مهنة جميلة يا أنطون..! تذهب إلى كل البيوت لتوزيع الرسائل. هل تحمل معك رسالة ما من أمريكا..؟

أنطون: واحدة... (يبحث عنها).

جينوفيفا: لمن..؟

أنطون: إلى آديللا صاحبة أشجار القسطل.

جينوفيفا: أعطني إياها للحظة إذا سمحت..!..

«أنطون يسلمها بصمت، تستلمها جينوفيفا باحترام، وتتأملها مليا»

جينوڤيڤا: إنها تحمل ختم السفينة الشراعية، ومن دون شك أن آديللا كانت امرأة ناضجة، عندما كنت أنا طفلة صغيرة. أتلاحظ كيف أن العمر ليس له أي أهمية في تلقي الرسائل..؟

أنطون: هي تختلف. فعندها ثلاثة أولاد في أمريكا.

جينوڤيڤا: هذا صحيح.. الأولاد.. يقولون إنهم متألمون، ومع ذلك فهم لم يهملوا الكتابة إليها..

(تعيد الرسالة): شكرا أنطون، أتعود قريبا لتجلب لي رسالتي..؟

أنطون: بأسرع وقت ممكن يا سيدتي.

جينوڤيڤا: لا تتأخر كثيرا مثل هذه المرة الأخيرة. أتعدني بذلك؟

أنطون: أقسم لك بذلك.

«يقبل يدها بطريقة خرقاء ويخرج. تنظر إلى يدها مندهشة، تبتسم، وتركض وراءه لتودعه بفرح جديد...»

جينوڤيڤا: إلى اللقاء قريبا يا أنطون بن أنطونا.. وشكرا.. شكرا لك.

«تأخذ المروحة بيدها، وعيونها تضيء بالأمل من جديد. روزينا حضرت المشهد دون أي حركة، تنظر إلى الأرض، تدير ظهرها، تخبّئ بكاء شديدا لم تستطع السيطرة عليه. جينوڤيڤا تذهب إليها مندهشة. تقول لها:»

جينوفيفا: ماذا يحدث معك يا صغيرتي؟ لماذا أنت حزينة؟

«روزينا لا تغير وقفتها، ولا تدير ظهرها»

جينوفيفا: لكن.. يا إلهـــي.. يا إلهـــي.. لمـــاذا هؤلاء المساكين من البشر لا يفهمون أبدا، ولا أي شيء؟

«يبدو أوربيل في أعلى الدرج. جينوفيفا تدير نفسها باتجاهه متألقة»

جينوفيفا: أوربيل.. اللحظة الكبيرة تقترب، اليوم الأكثر جمالا من بقية الأيام، ألا تشعر بذلك من خلال الهواء؟!

أوربيل: (بتألق أيضا) وصلت رسالتك..؟

جينوفيفا: الرسـالــة لم تـصـل بعـد.. لكن سـاعي البـريـد بـدأ في الوصول إلى هنا.

«تفتح ذراعيها بسعادة. أوربيل ينزل الدرج، ولكن قبل أن يصل، يقع»

(ستار)

الفصل الثاني

المنظر

(في المكان نفسه - بعد أيام عدة)

«السيد جرمان ورامون يجلسان إلى الطاولة، السيد جرمان يدخن غليونه، وينظر بإمعان إلى رامون الذي يتناول مشروبه، أراد أن يملأ الكؤوس ثانية، ولكن جرمان أوقفه بإشارة خفية»

جرمان: لا .. لا أريد المزيد...

رامون: إنه شراب محلًى، وربما يكون الأخير، ما رأيك في كأس أخرى..؟

جرمان: لا، أفضل أن أكون مستيقظا للتحدث معك.

رامون: (يصب لنفسه) هل تعتقد أنني أريد أن أسكرك..؟

جرمان: أعتقد أنك تريد أن تسكر، ولا أدري لماذا.؟!

رامون: ألا تعرف أسبابي الكافية؟ الإرث محجوز، القطيع مباع بسعر بخس، وفي الكرمة نجني آخر محصول للعنب.

جرمان: أنت مسرف، لا أدري كيف استطعت أن تبدد في زمن قصير ثروة مائة عام!

رامون: لا يهم كيف. حفلات، نساء، ألعاب. أنا لا أطلب الشفقة من أحد.. الأصدقاء يرفضون مساعدتي وقريبا سأفقد كل شيء، حتى منزلي الخاص.

جرمان: منزل زوجتك..

رامون: ألست أمتلك كل ما كان ملكها؟

جرمان: لك ولابنها ولأختها..

رامون: هذا ما كنت أريد أن أصل إليه. إنك الوحيد الذي يستطيع أن ينقذني. كلمة واحدة منك إلى جينوفيڤا، بعدها سأعود إلى امتلاك كل الذي أخذته هي بالحيلة.

جرمان: مرة أخرى وحكايتك مع الكنز المخبأ..؟

رامون: إنها ليست حكايات، ففي الوقت نفسه الذي ماتت فيه أختها، قامت جينوفيڤا بطمر الثروة وخبأتها في مكان لايعرفه إلاالرب. النقود القديمة وجواهر العائلة.. ألا توجد طريقة لانتزاع هذا السر منها؟ أخشى أن تكون هي نفسها قد نسيت المكان الذي خبأت فيه الكنز، ولكن الآن بدأت بتقفي الأثر.

«يرمي بقطعة عملة معدنية على الطاولة»

جرمان: أونصة من الذهب..؟!

رامون: الفتاة أخذتها من جينوفيڤا، وذهبت لتشتري بها زجاجة مشروب من الحانة.

جرمان: هل الفتاة تعرف أي شيء غير ذلك..؟

رامون: لا شيء.. جينوفيڤا أمرتها بالخروج، وبقيت جينوفيڤا بالداخل. هذا يعني أن الكنز موجود هنا بالداخل..!

جرمان: ماذا تراني أفعل إذا رفضت هي الاعتراف..!؟

رامون: أنت شيء آخر. فهي تطيعك مثل النعجة.

جرمان: (يقف غاضبا) أنا لا أحتاج إلى تهديدها بالسوط، مثلك. حقيقة؟! لا أحتاج إلى سجنها في الظلام، ومن دون ماء مثلما فعلت أنت..!؟

رامون: لقد أخطأت أنا، وهذا مضى. أحلفك بكل شيء، لاتتركني أيأس أكثر مما أنا عليه الآن، أما أنت فتستطيع أن تحصل منها على كل شيء بكلمة واحدة منك.

جرمان: ولن أقول هذه الكلمة .

رامون: تعرف أنني مفلس، وأنني على وشك أن أفقد المنزل أيضا. وترفض مساعدتي وأنت بكلمة تستطيع أن تنقذني...؟

جرمان: اسمع رامون، وليتك تفهم حديثي. توجد ثلاثة أسرار يمثل اكتشافها جريمة.. سر مجنون، سر طفل، سر رجل نائم، فإذا كنت تحتاج إلى شريك فلا تعتمد علي.

رامون: لكن.. ماذا ستنفعها الثروة المدفونة؟

جرمان: إنها دفاعها الوحيد، وتحتفظ بها تحت هذا السقف. ولأنك إذا اكتشفت هذا السر في يوم ما فمن يؤكد، ومن يضمن لي أنك ستبقيها في بيتك يوما واحدا بعد ذلك!

رامون: لا أفكر في سرقتها، وهي تستطيع بنصفه أن تعيش مثل الملكة في أي مكان.

جرمان: وأورييل..؟

رامون: أورييل لي.

جرمان: إذن صحيح هذا الذي أحيانا أتجرأ وأشك فيه. صحيح بأنك قادر على أن تتركها وحيدة، وربما أسوأ من ذلك، قد ترسلها لتحتجز.

رامون: (مع ضربة عنيفة متشنجة) في عائلتي أنا الذي أحكم، يا سيد جرمان! (يشرب)

«روزينا تظهر في أعلى الدرج، تنزل، يلفت انتباهها تشنج رامون، وضربه على الطاولة، ولكنها تتابع الموقف بصمت. السيد جرمان يتابع حديثه بهدوء»

جرمان: كلا يا رامون... كلا... جينوفيڤا تنتسب إليّ أكثر، لأن هذه الأيدي هي التي جاءت بها إلى الدنيا، وهي التي عمّدتها، والتي أنامتها مئات المرات وتعرف عندما تتألم كيف تهدئها. جينوفيڤا هي الإنسانة الوحيدة التي بقيت لي من بين كل الذين أحببتهم، وإذا حدث في يوم ما وفرّقتها عن أورييل، ورميت بها خارج بيتها، أتسمعني جيدا؟ ورميت بها خارج بيت أختها ووالدها. إذا حدث ذلك في يوم ما، أقسم لك بأنني سأقتلك.

رامون: (يقف متحفزا) تقتلني؟!

«يسيطر على نفسه ويضحك بطريقة غريبة»

تقتلني أنا؟!

«فجأة يرى روزينا، ويصبح حديثه جافا»

ماذا تفعلين أنت هنا..؟!

روزينا: (خائفة) السيدة أماندا قالت لي أن أخبرك بأن المفاتيح....

رامون: اخرجي.

روزينا: نعم... نعم سيدي... نعم.

«تخرج بسرعة من البوابة، وتقع منها حزمة مفاتيح»

رامون: فيما يخصك أعتقد أني أستطيع الاعتماد على صديق. أنا آسف، وبالنسبة إلي لا يوجد لدي أي شيء للتحدث عنه.

جرمان: أما بالنسبة إلي، فيوجد ما أحدثك عنه، أحذرك. اهتم بهذه المرأة.

رامون: من أماندا..؟ هل تقدم لي مواعظ أخلاقية؟!

جرمان: لا، الأخلاق ليست إلا واحدة من الوصايا كما تعتقد الساقطات من النساء. الوصايا هي عشر، وأنت باستطاعتك أن ترفض العشر دفعة واحدة، وبخاصة إذا تركتها تسيطر عليك.

رامون: من دون ألغاز يا سيد جرمان، الأشياء كلها واضحة.

جرمان: واضحة مثل النور. هذه المرأة أكثر شجاعة وذكاء وطمعا منك. حتى الآن تحكمك هي فقط في مخدعك. لكن غدا ستدخل في ضميرك، حينها سترمي جينوفيڤا إلى الشارع، لأنها تعرقل الطريق أمامها، لتكون السيدة.. في ذلك اليوم ستقال الأشياء لأنها ستكون حقيقة. في ذلك اليوم ومن أجل إنقاذ روحي، أقسم لك أني سأقتلك.

إنها آخر كلماتي كصديق. سلام رامون.

«يخرج. رامون يشرب ضاغطا على كأسه، يفتح زر ياقة قميصه. يحدق في حزمة المفاتيح التي وقعت من روزينا. يرفعها، ينظر إليها، يصيح بصوت عال، وبصيغة الأمر»

رامون: أماندا...! .. أماندا...!

«أماندا تظهر على الدرج، ترتدي ثيابها بأناقة»

(رامون وأماندا)

أماندا: (بصوت منخفض) رامون. أنا لست متعودة أن أسمعك تنادي اسمي بهذا الصياح.

رامون: ماذا يعني هذا الثوب في يوم عمل؟ .. وهذه المفاتيح..؟

أماندا: (تنزل) أليس واضحا بما فيه الكفاية؟ أنا راحلة.

رامـون: أنت أيضـا ضـدي؟ عـودي إلى غـرفـتك، واخلعـي هذا الثوب حالا.

أمـاندا: تأخر الوقت يا صاحب السعادة، منذ الآن أنا الوحيدة التي تتحكم في ملابسها ليلا ونهارا.

رامون: أفكرت جيدا في الذي يمكن أن يحدث؟

أمـاندا: بكل شيء.. حـتى إذا اسـتطعت أن تحـتـجـزني بـالقـوة. حاول بالسوط أو بالسكين.. سيان عندي، حـاول لترى إذا كنت أتراجع خطوة واحدة إلى الوراء.

رامـون: الأسـواط والسكاكين ليست هي التي جعلتك متـعلقة بي.

أمـاندا: أعرف... أنت استطعت أن تجعلني أفقد أشياء كثيرة، ولكن كرامتي... لا أنت، ولا أي شخص آخر.

رامـون: (يجلس ويشـرب) أحب أن أعـرف مـاذا.. سـتنفـعك كرامتك غدا، من دون خبز؟!

أمـاندا: من أجل ألاّ أكـون مـثـلك، جـبـانا يبكي أمـام كـأسـه. الجميل المختال الذي يشعـر بالضياع لأنه لم يعرف أبدا الفوز سوى بمهر العروس.

رامون: اسكتي يا قبيحة!

أمـاندا: عـجـيب بيت دون نـوافـذ، والذي دخل فـي المنزل ذي الشرفات السبع من خلال البـوابة الوحيدة يعرف كيف يفتحها، بوابة المرأة!

رامون: قلت لك اسكتي.

أماندا: أليس هذا هو ما كرست حياتك كلها لتحصل عليه، إرث الابن البكر، أن تنضم لشجرة العائلة العظيمة، في لوحة الكنيسة والعربة على الطريق المشجر بأشجار الحور. انظر من أجل ماذا خدمتك كل هذه... بعد أن توفيت زوجتك؟ الشرفات السبع كثيرة عليك يا رامون، الآن يمكنك أن تغلقها كلها..!

رامون: (يقف قالبا جرة صغيرة وكأسا) إنك تكذبين يا أفعى..! أنت تعرفين جيدا أنني لم أتزوج من أجل المال، وإذا كنت الآن تريدين التخلي عني، فليس ذلك لعزة نفسك المهانة. لا.. إنما لأنك مثل الجميع ترينني الآن مفلسا.

أماندا: ومتى طلبت منك شيئا؟ أذهب الآن لأني أحترم نفسي. أما أنت فلا! لا أريد أن أكون «السيدة» هنا، ولكن لا أريد أيضا أن أكون بعد اليوم عشيقتك في الفراش.

رامون: ما الذي كنت تنتظرين مني...؟ كلاما فارغا من الحب..؟

أماندا: الأمر ليس متعلقا بالكلمات. ولكنه متعلق بالأحداث المهينة.

«تقترب ناظرة إليه بإمعان»

لماذا لا تريد أن يكون لك ولد مني؟

رامون: لا منك، ولا من أحد آخر.

أماندا: لماذا تتمسك بقطعة اللحم المسكينة المنطفئة التي ليست قادرة حتى على تعلم الكلام؟

رامون: (بحالة انقباض) أقول لك ولآخر مرة، لا تتكلمي عن عائلتي!

أماندا: أهلك...؟! كفاك أن ترمي أهلك في وجهي. لقد شبعت من ذلك. أين ولدت أنت وكبرت..؟

أهلك الحقيقيون يمكن أن يكونوا أنا. فأنا باستطاعتي أن أعطيك أولادا أصحاء وفتيانا، أن أعطيك أولادا للأرض.. والخيل» أولادا من أجل الغد.. وليس هذا الدم المخلوط بالماء والسكر، والذي تسميه ابنك البكر.

رامون: (بجنون مخنوق) استحلفك بأعز ما تحبين، لا تلمسي هذا الجرح لأنني لست مسؤولا عنه، وعن نفسي.

أماندا: كلا.. كان يجب عليك أن تعرف وبنفسك بأن أورييل عار عليك.. يكفي لأنه يعبر عن فشلك كرجل. لكنك تحبه فوق كل ذلك، فقط لأن فمه وعيونه تشبه مثيلاتها في أمه... وتبذل نصف حياتك فقط لتسمعه يتكلم، لأنك في ذلك اليوم ستسمعه وكأنك تسمع أمه.

رامون: (بصراخ غريب) كفى..! من علمك أن تعضي هكذا أيتها الكلبة المتوحشة؟ أتغارين من ولد ومن أم متوفاة..؟

أماندا: شيء مؤلم..! آه...! إذن لا تخدعني، وبخاصة عندما تنزف هكذا.. فلقد وضعت إصبعك بالضبط على مكان الجرح. والآن أصبحت تعرفه مثلي.. وداعا..

«تتجه نحو البوابة، رامون يغلق عليها الطريق»

رامون: لا.. لن تخرجي من هنا.

أماندا: ابتعد..

رامون: لا..

أماندا: إذن، في هذه الحالة اضربني وبوحشية، لأنني لا أفكر في التراجع.

«تتقدم بعزم وتصميم»

رامون: أماندا.. (تتقدم)

أماندا...

«يعانقها بذراعيه، تحاول التخلص منه بإصرار»

أستحلفك بحياتك.. لا تدعيني أرتكب حماقة.

أماندا: دعني..!

رامون: اسمعي يا أماندا.. لا يزال هنالك وقت.

أماندا: وقت لأي شيء..!؟ .. هل لديك شيء جديد تقوله..؟

رامون: لقد كنت قاسيا معك.. هي طبيعتي، ولكن بيننا أشياء كثيرة. والآن جميعهم تخلّو عني، ومن غير الممكن أن

تتخلي أنت عني أيضا..

أمـانـدا: لأجل مـاذا تحـتـاجني..؟ ألكي أبكي مـعـك..!؟ لن أنفعك.

رامون: لكي نبقى معا ضد الجميع. فباستطاعتي وحدي جني ثمار الأشجار، وأنت تعرفين زراعتها وتنميتها. أنا أغلي كما الحليب، وأنت كالزيت.. فنحن نكمل بعضنا.

أماندا: أخيرا. الآن أسمع حديث رجل وليس حديث صاحب السعادة..

رامون: معك.. ما زلت أستطيع المحاولة لإنقاذ هذا الوضع. وإلا سأتركه يغرق كله دون أن أحرك يدا واحدة. أتريدين أن أقول لك أكثر من ذلك..؟

أماندا: سؤال واحد.. هل يمكنني أن أضع شروطي..؟

رامون: إذا لم يكن هناك شيء ضد أوربيل.. نعم..

أمـانـدا: لا أكثر من ثلاثة شروط بسيطة جدا.. أولا: أنا سأعمل في البيت كل الأعمال اللازمة. ولكني لن أركع، وإذا حدث في يوم ما أني ركعت لأخلع لك مهماز حذائك، فإن هذا يحدث فقط لأنني أنا رغبت في ذلك.. موافق..؟

رامون: موافق.

أمـانـدا: ثانيا: لا أريد أن أنتظرك وأبقى وحيدة في غرفتي، ولاأن أتناول طعامي في المطبخ مع الأخريات، ولا أريد

أن أذهب إلى المهرجانات على أقدامي. مكان وجودي هو حيثما توجد أنت. الحصان نفسه. وغطاء الطاولة نفسه. والشرشف المطرز على الوجهين نفسه. هل لديك أي شيء ضد هذا..؟

رامون: لا شيء.. والشرط الثالث؟

أماندا: أريد أن أحكم أنا وحدي..

رامون: بي أنا..؟

أماندا: الرجل يأمر ويحكم خارج البيت.. أما الحكم في أنواري وخزائني، فهو لي وحدي.

رامون: من يأمر غيرك هنا..؟

أماندا: جينوفيڤا.. جميعهم يطيعونها عندما لا تكون أنت هنا.

رامون: ياه..! إنها تهيؤاتك السخيفة.

أماندا: كلا يا رامون.. هم عشرون خادمة مازلن يفكرن بأنها الابنة الكبيرة لصاحب البيت والوراثة. وهذا يكفي. أنا لاأريد هذه المجنونة تحت السقف نفسه الذي أعيش أنا تحته.

رامون: لكنك تعرفين بأننا لا نستطيع أن نرميها هكذا.

أماندا: ستشعر براحة، وستكون أفضل لو وضعناها في مستشفى جيد.

رامون: إنه ليس اهتمامك فقط، إنه اهتمامنا أيضا..

أماندا: وماذا عن الجواهر الثمينة المخبأة..؟

رامون: علينا ألا نتركها تخرج حاملة معها هذا السر.

أماندا: وهل سأتولى بنفسي هذه المسؤولية..؟

رامون: أنت؟ لن تقول لك أي شيء أبدا.

أماندا: من يعرف؟!.. النساء يتفاهمن بشكل أفضل، وبطريقة أسهل. هل تعدني إذا استطعت أن أجبرها على الاعتراف بألاّ تبقى جينوفيڤا، ولا يوم أكثر في هذا البيت..؟

رامون: بماذا تفكرين..؟ ماذا ستعملين؟!

أماندا: لا تخف.. الأسلوب الوحشي الذي تستخدمه أنت كله، ما نفعك أبدا. هل تعدني بألا تعيده يوما ما..؟

رامون: وأوربيل..؟ ماذا ستفعلين بأوربيل وحده..؟

أماندا: (من دون صبر أو انتظار) أنا لا أكلمك عن أوربيل.. وأيضا هذا الوضع سيكون له أفضل. هل هذا وعد؟... نعم أم لا...؟ (رامون يتردد) نعم.. أم.. لا..؟

رامون: (يخفض رأسه بخجل، وبصوت مهموس) هذا وعد.

أماندا: أعطني مفاتيحي مرة أخرى.. وشكرا.

«تأخذ حزمة المفاتيح»

هل تتذكر آخر يوم تشاجرنا فيه هنا في المكان نفسه؟

حينها قلت لي: لم أرك جميلة هكذا من قبل.

«تقترب مثيرة انتباهه، خافضة صوتها»

أنت لا تحتاج بأن أخبرك، صحيح يا رامون؟

رامون: (بصوت مبحوح) اليوم نعم أنت جميلة.

«يعانقها، يقبلها وتقبله. من البوابة الرئيسية يصل أوريبل راكضا. عندما يشاهدهما يقف لبرهة، ومن ثم يتابع نحو الدرج وببطء دون أن ينظر إلى أحد.

رامون يتحرك بصورة فجائية، ويصيح»:

رامون: أوريبل...!

«رامون يشير برأسه لأماندا كي تخرج، ويتبع هو أوريبل.

أماندا تذهب إلى البوابة، ولكنها تنتظر هناك»

رامون: أوريبل...! أوريبل انظر إلي..! أقول لك.. (يرفع وجهه) توجد أشياء في حياتك تمر دون أن تعرف سببها، وثق أنني لست أفضل ولا أسوأ من الآخرين.

الرجل.. هل تفهم هذه الكلمة يا أوريبل..؟! . انظر إليّ..

«أوريبل يعيد رأسه لوضعه الطبيعي»

أماندا: لا تضيع وقتك.

رامون: اتركيني. هذا ما يجب علي أن أشرحه له مهما يكن الأمر..!

أماندا: لا يوجد شيء من الممكن شرحه لشخص لا يستطيع أن يفهم. وعلى العكس، ففي الكرمة لديك مائة رجل بانتظارك.

رامون: يستطيعون أن يجنوا العنب من دوني.

أماندا: لا.. ليس الشيء نفسه. عندما يكون السيد أمامهم فإنهم يعملون بشكل أفضل. هيا..!

«يتابع رامون بعينيه ابنه الواقف وظهره لأبيه..

مستندا إلى مسند الدرج. يقترب ويضع يده فوق كتفيه. خافضا صوته بطريقة ناعمة حلوة»

رامون: أورييل.. ابني.

أماندا: إذا كان هو مهمًا جدا بالنسبة إليك.. أستطيع أن أذهب إلى الكرمة وحدي.

رامون: لا.. هيا بنا..

«تخرج أماندا أمامه. رامون يعود ويتوقف لحظة عند عتبة الباب. أورييل يتابع بهدوء من جديد وعندما يشعر أنه وحيد يعود دون أن ينظر إلى البوابة، يجلس على كرسي منخفض. وبعيون محدقة إلى البعيد.

يتنفس بصعوبة وضيق. يضغط جفنيه، وينادي بصرخة متوسلة»

أورييل: أمي..! جدي...! أمي..!

«يخفض النور، يلتفت ببطء وشرود. يعبر المشهد نغامات طويلة من الهارب. مجال لفضاء مفتوح من دون أبواب. وعلى الدرج تظهر الأم وهي مرتدية ثوب سهرة، جامدة كلوحة فنان. يتبعها من الخلف الجد بزيه العسكري، بأوسمته، حاسر الرأس ومن دون سيف. كلاهما يرتدي اللون الأبيض. الوجه شاحب اللون، يتكلمان بهدوء طبيعي. فقط الإشارات والحركات ميتة بطيئة، وكأنها ثابتة من دون حركة. الأم تتقدم نحو أورييل، تمد يدها لوضعها فوق كتفه دون أن تطاله أو تلمسه»

(أورييل، الأم، الجد)

الأم: عزيزي أورييل..

أورييل: (دون أن يلتفت) هل رأيته..؟!

الأم: نعم يا بنيّ. لماذا ترفض أنت النظر إليه..؟

أورييل: لا أريد أن يعرف هذا الرجل ما أحس به من خلال عيوني.

الأم: ألوالدك تقول هذا الرجل..؟!

أوربيل: (يقف ويعود ليجلس بطريقة فجائية) هذا مرعب..!
ولكني لا أستطيع أن أخدعك.. أكرهه، هل تسمعين؟
أكرهه..

الأم: لا أريد أن أسمع منك هذا يا أوربيل، لا تعد هذا الحديث أمامي مرة ثانية.

أوربيل: أعرف، أعرف بأن الكره غير موجود في هذا الجانب. لكن قبل ذلك عندما كنت هنا، وعندما حاول هذا الرجل أن يميتك يوما بعد يوم من الحزن والأسى. ماذا شعرت نحوه؟!

الأم: حينئذ كنت أحبه..

أوربيل: على الرغم من كل شيء..؟

الأم: عندما تحب. الحب يكون دائما على الرغم من كل شيء.

الجد: (يتقدم خطوة) لماذا أنت منفعل جدا اليوم..؟ أبدا لم أشاهدك هكذا..!

أوربيل: لن أقدر على أكثر من هذا يا جدي. كل الأشياء هنا تسبب لي أذى مثل الزجاج.

الجد: أي أشياء..؟

أوربيل: غير العادلة، القاسية، الجبانة.. وتلك الأشياء المظلمة التي لا أفهمها، والتي يجب أن تكون مخجلة، لأنهم دائما يقولونها بصوت منخفض، ويعملونها ليلا.

الأم: اهدأ يا بني. عندما تصبح رجلا ستفهمها..

أوريل: لا أريد أن أصبح رجلا.. لا أريد أن أستمر يوما واحدا من دون صديق واحد في هذا العالم، لأنهم كلهم يزعجونني..

الأم: إذن ليس فقط والدك، وتلك المرأة.. من أيضا يزعجك ويعذبك..؟

أوريل: كلهم.. الذين يسخرون ويخافون مني .. الذين يشفقون عليّ.. كلهم! لماذا لا يوجد شخص واحد يعطيني يده ويجلس معي، مثلما يجلسون مع بعضهم البعض؟!

لماذا يسخرون ضاحكين من الذي تقوله الخالة جينوفيفا..؟

أليس هذا واضحا مثل الشمس..؟

الجد: بالنسبة إلينا.. نعم.

أوريل: أما بالنسبة إليهم فلا، ولهذا ترمونهم بالحجارة، لأنهم هنا يكرهون كل شيء لا يفهمونه.

الأم: هم قساة، لأنهم لا يعلمون.

الجد: كلا يا كلارا.. مع الذين مثلهم هم أسوأ من القساة.. إنهم أغبياء.

يبدؤون بالاستهزاء من الذي يولد بقدم واحدة،

وينتهون باضطهاد من له إيمان مختلف آخر، أو له لون مختلف.

أورييل: (يوجه حديثه إلى أمه) في هذا العالم الأبيض كل شيء سهل. ولكن هنا هل تعرفين ماذا يعني هذا القنوط والقسوة والضيق..؟!

الأم: نعم يا بني، أعرف ذلك، مذ كان عمري مثل عمرك الآن..

أورييل: (معاتبا) إذن.. يا ماما.. مادمت تعرفين ذلك، فلماذا تركتني أولد موصوما هكذا؟ اغفري لي. هذا ليس اتهاماً.

«الأم تدير وجهها»

أورييل: لكن افهميني. فهل لاحظت أنني كنت ولغاية الأمس ولدا خاصا غير الأولاد الآخرين. وغدا سأغدو رجلا من دون أن أستطيع أن أمتلك ما يستطيع أن يملكه الرجال الآخرون! انقذيني يا أمي.. لا تتركيني أصل إلى ذلك الغد..

الأم: هل تعتقد أنني أستطيع أن أفعل شيئا لك..؟

أورييل: أخبريني بالحقيقة. فيما بيننا لا يوجد أكثر من شيء شفاف وبريء يفصلنا.. ربما فقط كريستال. قولي لي ما الذي يجب أن أفعله لأعبر إلى الطرف الآخر، لأكون معك..؟

الأم: معي؟! لكن هل تعرف ماذا تقول..؟!

أورييل : نعم.. لم أعد أستطيع التحمل أكثر.. كل الأشياء هنا صراخ، وألوان قاسية قوية، أريد هذا الهدوء، وهذا السلام.

الجد: دع السلام لنا.. المفتقد هنا هو النضال.

أورييل: لا أملك القوة ولا أريدها.

الأم: لا ترعبني يا بني. هل ستجلعني أرتجف مرة أخرى، كما حدث من قبل عندما كنت أعيش هناك.. وأراك تركض عبر القرية المليئة بالجياد والبنادق والصخر..؟

أورييل: أخبريني كيف أعبر..؟

الأم: لا توجد إلا طريقة واحدة.. الانتظار..

أورييل: لقد انتظرت كثيرا.. إذن لا توجد طريقة، أخبريني كيف أهشّم هذا الكريستال..؟!

الأم: أورييل..!

أورييل: أخبرني أنت يا جدي.. يجب أن يكون سهلا جدا.. هل صحيح ما قالته الخالة جينوفيڤا بأنك عبرت بشكل سهل لقولك ببساطة لا..؟

الجد: هذا صحيح.. (يتقدم خطوة)

كنا محاصرين في حصن صغير دون تموين ودون ماء.. لكن عندما رفع العلم الأبيض، أجابوا بأنهم يستطيعون أن يضمنوا حياتي وكرامتي فقط دون

سواي، لأنني كنت الوحيد بالزي العسكري..

أورييل: أليس هذا هو القانون؟

الجد: توجد قوانين أقدم.. الذين كانوا معي دافعوا بالبسالة نفسها.. عانوا الخطر نفسه، والعطش والجوع، كما عانيت أنا. لذلك كانوا باعتقادي مرتدين الزي العسكري نفسه الذي كنت أرتديه.. ولذلك قلت لا... وهأنذا موجود أمامك مع كرامتي..

أورييل: من أجل هذه الكلمة فقط..؟

الجد: إنها الكلمة التي كانت تنقصنا هناك. وهي كلمة أهلك، وكلمة جينوفيڤا، ويجب عليك أن تتعلمها أنت أيضا...!

الأم: هل تريد أن تجعله متمردا مثلك؟

الجد: أريد أن أجعله رجلا.

أورييل: ما أبحث عنه ليس كلمات. يجب أن يكون شيئا آخر.

أولا: قلت لا.. لكن ماذا بعد؟ ماذا حدث بعد ذلك..؟

الجد: (يتقدم) بعد ذلك...

الأم: (تستوقفه بإشارة) قف..! كفى..، هل تلاحظ ما الذي كنت تريد أن تفعله..؟

الجد: عفوا... (يتراجع).

الأم: اسمع يا أورييل، لتعبر إلينا وتجتمع معنا عليك أن

تنظر ساعتك، وإذا حاولت بطريقة أخرى يوما ما، فمعنى ذلك أننا لن نعود إلى الالتقاء ثانية، لن نعود، هل سمعت جيدا..؟

أورييل: نعم يا ماما..

الأم: شيء أخير أود أن أقوله لك. لقد شاهدتك تضرب الحصان بالحجر. يخيفني هذا الحصان ذو الدم المجنون، عدني بأنك لن تعود إلى ركوبه.

أورييل: (يتنفس بعمق خاضعا).. أعدك..

الأم: شكرا.. يا بني..

أورييل: لماذا لم تأت آليسيا اليوم؟

الأم: لقد كانت معنا هذه الصغيرة.. إنها دائما تلعب بالماء.

«بإشارة كمن ينادي أحدا من بعيد دون أن يرفع صوته. تنادي: آليسيا تدخل كما لو أنها تركض، ولكن من جهة معاكسة للجهة التي أتى منها الجد والأم.. آليسيا ذات الخمسة عشر ربيعا، قبعة من قش كبيرة مع عقدة، معلقة على ظهرها، تاركة رأسها مكشوفا. ترتدي زيا صيفيا، ضفائر وخصلات من شعرها.. جوارب، كل لباسها أبيض.»

(المذكورون وآليسيا)

آليسيا: معذرة. لقد انشغلت باحثة عن بعض الفطر والحلزون

من أجل أورييل. هل وصلت متأخرة؟

الأم: قليلا... (توجه حديثها للجد): لقد هدأ الآن.. هيا بنا.

الجد: هيا بنا..

(يخرج الجد أولا. الأم تعود لبرهة)

الأم: وداعا يا بني. أحلفك بأكثر شيء تحبه، ألا تعود للتفكير بهذه الطريقة.

«تخرج. آليسيا حاولت أن تتبعها، ولكن أورييل أوقفها بصوت منخفض وعاجل...»

أورييل: أنت.. لا.. انتظري، فيجب عليك أن تخبريني..

آليسيا: أخبرك عن ماذا؟

أورييل: تخبرينني كيف يمكن العبور إلى ذلك الطرف الآخر؟ كيف يمكن كسر هذا الكريستال الذي يفصلنا..؟

آليسيا: هل تعتقد بأنني أعرف..؟

أورييل: لقد منعوك أن تخبريني أليس كذلك؟

آليسيا: أقسم لك بأنني لا أعرف..

أورييل: يجب أن يوجد ممر خفي، باب سري.. شيء ما! كيف فعلت أنت؟

آليسيا: من دون انتباه، فقط أتذكر أنني عندما كنت على الشاطئ، وبين الصخور الموجودة في العمق، رأيت نجمة البحر.

أبدا لم أر أجمل منها، لكن كانت عميقة جدا، عميقة جدا. اعتقدت أنني لن أنالها، هل رأيت أنت نجمة البحر ذات مرة؟

أورييل: كلا..

آليسيا: (تخرجها من جيبها) انظر إليها. إنها جميلة. أليس كذلك؟!

أورييل: جميلة.. نعم جميلة.. ولكن ماذا حصل بعد أن حصلت عليها..؟

آليسيا: لا شيء.. مكثت هناك من دون حركة، في القاع، وبدأ الليل يخيم.

أورييل: ألم تخافي من الظلام؟

آليسيا: لماذا..؟ فلقد كانت نجمة البحر معي وحدي.

(يسمع صدى لصوت الأم منادية)

صوت الأم: آليسيا...

آليسيا: ذاهبة يا سيدتي.. (تخبئ النجمة).. كنت أرغب أن أهديك إياها، لكنها مازالت لا تخدمك، أو تنفعك في شيء. وداعا يا أورييل..

أورييل: انتظري. أريد أن أذهب معك.. آليسيا.. آليسيا...

«آليسيا تخرج، وقفت تنظر إليه.. تبتعد. على الدرج تظهر الخالة جينوفيفا. تعود نغمات الهارب تخيم

على المشهد. الضوء يعود تدريجيا»

(جينوفيڤا وأوريل، ومن ثم روزينا)

جينوفيڤا: هل ناديتني..؟

أورييل: كلا يا خالة..

«يمسح عينيه بيديه كما لو كان النور قويا جدا. جينوفيڤا تنظر حولها مندهشة..»

جينوفيڤا: يا للغرابة! إني أشعر بشيء غريب. هل صحيح كنت وحدك..؟!

أورييل: لا. لست مع أحد.. إنني لوحدي.. فلقد كنت أفكر.

«جينوفيڤا تنزل. روزينا تصل راكضة. تحمل عنقودا كبيرا من العنب. تقدمه إلى أورييل. يتناول منه حبة عنب واحدة، ويضع يده فوق كتفها ويشكرها.. روزينا تتجه نحو جينوفيڤا»

روزينا: أحضرت إليكما أفضل عنقود عنب من الأرض المشمسة آنسة جينوفيڤا.

جينوفيڤا: شكرا يا روزينا... (تأخذ العنقود) هل يوجد أحد في البيت..؟!

روزينا: لا أحد. كلهم موجودون لقطف العنب.

جينوفيڤا: وأنت..؟!

روزينا: أرسلتني السيدة أماندا للحراسة..

جينوفيقا: لدي لك عمل أفضل.. اصعدي إلى أعلى صخرة في الجبل. هل تعلمين أين؟

روزينا: المكان الذي يمكن أن يشاهد البحر منه..؟

جينوفيقا: نعم تلك الصخرة. اذهبي، وإذا مرت سفينة بيضاء أخبريني.

روزينا: وإذا وبخوني لترك البيت..؟!

جينوفيقا: إنها مسؤوليتي.. هيا اركضي.. وتستطيعين أن تغني بالقوة التي تشائينها.

«تخرج روزينا. جينوفيقا تقفل البوابة»

«جينوفيقا وأوريل»

أوريل: ما هذه السفينة البيضاء..؟

جينوفيقا: ولا أي سفينة يا أبله.. ألم تفهم؟ الآن روزينا بعيدة، والآخرون في الكرمة حتى المساء. فكل البيت لنا. هيا بنا نحتفل بعظمة وفخر مع الزجاجة الجديدة، وورق اللعب الجديد، مع الذكريات. أنت وأنا وحدنا مثل العروسين..!

«تزيل قرميدة المدفأة، تضغط على «الزر»، ينفتح الصندوق الكبير السري، وتخرج منه زجاجة الأنيس ذات الشجرة المزركشة، مع أوراق للعب صنعتها

بنفسها من كرتون ملون.

«أورييل ينظر إليها بفضول»

أورييل: لم تقولي لي أبدا عن هذا المخبأ.. هل هذا هو مخبأ الكنز..؟!

جينوفيفا: (باحتقار) هذا..؟ هذا المخبأ موجود في أي منزل قديم.. وهذا يعود إلى أيام الحرب الإسبانية، هنا فقط أخبئ شريط الوداع. والرسالة المحروقة، وبعض النقود وأشياء أخرى.

لكن الكنز الكبير موجود في مكان لا يستطيع أي إنسان العثور عليه.

أورييل حتى أنا لا أستطيع أن أعرف هذا المكان؟

جينوفيفا: أنت..؟ أجل عندما تصبح كبيرا.. ولهذا أحفظه. إذا لم أفعل ذلك.. أين كان الكنز الآن؟ مع أبيك؟

«تبحث عن كاسات في رف الكؤوس»

أورييل: تستطيعين أن تقوليه لي. أتعتقدين أنني سأفشي السر؟

جينوفيفا: لديك الكثير من الفضول..؟

أورييل: في هذه اللحظة نعم.. إنه مثل الحكاية..

جينوفيفا: حسنا.. سأعطيك خمسة احتمالات، وأعتقد أنه لايمكنك أن (تحزر) واحدة منها. موافق؟

أورييل: موافق. مدفون في الاسطبل؟

جينوفيڤا: بارد... بارد. والدك قلّب الاسطبل مائة مرة أيضا.

أورييل: في القبو..؟

جينوفيڤا: بارد.. بارد مثل الثلج، مثل والدك. لقد أصبحوا اثنين.

أورييل: في عوارض سقيفة البيت..؟

جينوفيڤا: الشيء نفسه... الشيء نفسه. كاد يغرقنا السقف. بارد مثل الجليد...لقد أصبحت ثلاثة.

أورييل: مدفون تحت شجرة القسطل الكبيرة؟

جينوفيڤا: أربعة. يا للشجرة المسكينة. لقد أصبحت كل جذورها في الهواء. ما هو الخامس؟

أورييل: الخامس... الخامس...

جينوفيڤا: لا... لا... من فضلك. هل ستقول لي إنه موجود في قاع البئر؟

أورييل: (يؤكد مندهشا) ليس موجودا في قاع البئر أيضا.

جينوفيڤا: (تضحك بمتعة) هل تلاحظ هذا؟ إنك مثله، ومثل الجميع، الرجال دوما يفكرون في أصعب الأشياء. ولهذا من الصعب عليكم أن (تحزروا).. في اليوم الذي يبدأ فيه الرجال بالتفكير في أسهل الأشياء، سيصبحون أذكياء مثل النساء.. (تضحك) البئر..

القبو.. شجرة القسطل الكبيرة.. (تضحك) لماذا لا يكون في جسد القمر؟.. (تضحك أكثر) إذا عرف والدك بأنه كل ليلة ينام فوق... فوق..! (تضحك، تمد له كأسا) بصحتك.. نصفها.. لأنك شاب صغير، بصحتك يارجل.

أورييل: (يضحك) بصحتك يا امرأة.

«يشريان. هي تمص لسانها بلذة»

جينوفيفا: يعجبك؟ أتحبه..؟

أورييل: يعجبني أكثر شيء الغصن..

جينوفيفا: أي غصن؟

أورييل: ذلك الموجود داخلها من الفضة.

جينوفيفا: آه.. غصن الثلج.. الشجرة المزركشة..

«تبدأ في توزيع ورق الغصن غارقة في التفكير»

جينوفيفا: قل لي: ماهي الشجرة.. أي شجرة تكون التي ليست بشجرة صنوبر ولا بالتفاح ولا بشجرة البندق ولا شجرة السرو؟

أورييل: لا تحاولي معي يا خالة. من دون فائدة. فأنا أعرف فقط الذي تعلميني إياه.

جينوفيفا: لكني أحتاج كثيرا اسم هذا النوع من الشجر.. إنها الكلمة السرية التي تنقصني لكي تصل الرسالة.

مثل كلمة الأسطورة. هل تذكر؟ افتح يا سمسم.. افتح يا سمسم.

أورييل: لا تفقدي الأمل فستتذكرين اسمها يوما ما وعن قريب..

جينوفيفا: لننتظر.. ماذا نلعب اليوم؟ صحراء؟ أو بحر أو بلد..؟

أورييل: بلد من أوروبا..؟

جينوفيفا: أوروبا استعملناها كثيرا.

أورييل: بلد من أمريكا..؟

جينوفيفا: أفضل.. كولومبيا عندها زمرد.. هل تحبه؟!

أورييل: كولومبيا سبق ولعبناها.. وربحتها أنا.

البيرو..؟ لديها مناجم من ذهب.

جينوفيفا: ذهب فقط؟ يا للأسف فأنا أحب الزمرد أكثر.

أورييل: كوبا..؟ لديها نخيل..

جينوفيفا: عظيم.. وهي جزيرة، جزيرة مثل الباخرة الكبيرة.

أورييل: إذن كوبا..؟

جينوفيفا: تبدأ... تقطع ورق اللعب.

«تقدم له رزمة ورق اللعب»

أورييل: ولكن أي ورق كبير هذا..؟

جينوفيفا: الورق الآخر أخفوه عنا، وكان علي أن أعمل ورقا جديدا للعب.. في وقت آخر أشرح لك.

ستشاهد.. (تعرض الورق وتسميه) هل تذكر الصور الحمقاء التي كانت موجودة في الورق الآخر: الذهب، الكؤوس، السيوف، وسروج الخيل..؟

هذا الورق مختلف تماما، فهو يحتوي أشياءنا، انظر:

ملك الفضة، والملك البعيد، وملك الشجرة، وملك البحر. هذا واضح..؟

أوريل: طبيعي، والأرقام..؟

جينوفيفا: الورق الآخر كان يحتوي على كل الأرقام.. أما هذا الورق فهناك أرقام ذات قيمة دائما..

«ترمي ورقة بعد ورقة على الطاولة»

الواحد هو رقم الرب، الثلاثة هو رقم الثالوث المقدس، الخمسة هي جروح اليسوع ، السبعة آلام العذراء والاثنا عشر هو رقم الحواريين. هذه الأرقام هي وحدها الصحيحة.

أوريل: وماذا عن الأرقام الأخرى..؟

جينوفيفا: الأرقام الأخرى تفيد فقط في الشراء والبيع. إنها أرقام التجار، وبعد ذلك يأتي بعض الناس.. ويضعون خلفها أصفار.. وأصفار.. هؤلاء هم اللصوص.

أورييل: ولا شيء غير ذلك..؟

جينوفيفا: غير ذلك. المكروه من الجميع. رقم اخترعه أولئك الناس السيئون ضدي.. فقط من أجل عذابي. لكن أقسم لك أنه رقم مزيف.

أورييل: (من دون أن ينظر إليها، وبصوت منخفض) نعم أنا أعرف الأربعين.

جينوفيفا: (منكمشة) ماذا قلت؟

أورييل: لا شيء يا خالة.

جينوفيفا: (تجبره أن يدير وجهه) نعم لا تنكر ذلك. لقد شاهدتك خجلا من كلامك..! أنت أيضا قلت أربعين مثل أبيك. مثل هذه المرأة السيئة..! أنت أيضا يا أورييل.

أورييل: عفوا..

جينوفيفا: على الرغم من أنهم كلهم يقولونه، ألا تعرف بأنه لايمكن أن يكون.. أربعون هو رقم امرأة متزوجة. ولكن متى رأيت آنسة بهذا الرقم الغبي؟

أورييل: أبدا يا خالة.. محذوف هذا الرقم.

جينوفيفا: محذوف يا أورييل.

«تبقى هادئة. تبتسم، تقطع الورق، توزع خمسا منها لكل واحد. تضع مجموعة الورق فوق ورقة مكشوفة.

كل ورقة رابحة تعادل اثنتين يأخذها الرابح، ويسحب

ورقا من المجموعة لكي يبقى دوما معهما خمس أوراق في اليد. من دون شك أنها لعبة مخترعة من الخالة جينوفيڤا»

جينوفيڤا: خمسة من الفضة.

أوريبل: الملك من الفضة.

جينوفيڤا: سبعة من البحر.

أوريبل: حصان بحري.

جينوفيڤا: (وبينما كانا يتابعان اللعب) إنه جميل. أليس كذلك؟

أوريبل: رائع.

جينوفيڤا: نحن مكروهان لأننا مختلفان. حسنا هناك أوراق لعبهم، ونحن لدينا ورق لعبنا الخاص بنا. ثلاثة من بعيد.

أوريبل: اثنان من بعيد.

جينوفيڤا: سباتي من شجر.

أوريبل: آس من شجر.

جينوفيڤا: دعني أر...

«تنظر بهدوء إلى أوراق أوريبل. تعمل إشارة نفي، وتظهر له ورقة أخرى. أوريبل يطيع. يخسر اللعبة».

أوريبل: هكذا...؟

جينوفيفا: هكذا ربحت.

«تلم بهدوء الورقة الرابحة. أوربيل يعيد التوزيع. هي تشرب، وتصب لنفسها مرة أخرى»

ألم تلاحظ أي شيء جديد في يدي؟

أوربيل: كلا.. ماذا..؟

جينوفيفا: عندما كان جدك على قيد الحياة، كانت تقام حفلات الرقص في الطابق العلوي، في الصالة ذات الشرفات السبع، كان الرجال يقبلون يدي، أولهم كان رجلا يتحدث بلغة لم يفهمها أحد، ولكن كان يكفيني أن أراه يقبل يدي، ومن خلال ذلك عرفت أنه رجل عظيم. بعد ذلك كان كابتن من الفيلبين، وطالب من سانتياغو، وفيما بعد خطيبي عند وداعنا في الميناء.

أنا لا أعرف ماذا ستفعل النساء الأخريات بالقبلات. فالأفضل لهن أن يتركنها لي، فأنا أحتفظ بها كلها.. أترى ذلك..؟

أوربيل: نعم يا خالة.

جينوفيفا: وهل تلاحظ هناك قبلة صغيرة ومازالت طازجة. هذه ليست من سيد عظيم، ولا من طالب، ولا من كابتن، ولا من خطيبي، هذه أعطاني إياها الفلاح أنطون بن أنطونا ساعي البريد.

الآن لدي يد كاملة. انظر، قبلة في كل إصبع مثل

خمسة خواتم..!

حصان الشجرة.

أوربيل: ملك الشجرة.

جينوفيڤا: سبعة من بعيد.

أوربيل: سباتي بحري.

«دون أن يترك اللعب»

لماذا رحل خطيبك إلى أمريكا..؟

جينوفيڤا: إن نفسه عزيـزة عليه، ولـم تكـن لديه نقـود كافيـة، فذهب إلى هناك كي يتزوجني.

أوربيل: أكل الذين يذهبون إلى أمريكا هم فقراء يملكون عزة النفس؟

جينوفيڤا: لأنها بعيدة.. فإذا أحسست بالجوع فمن الأفضل أن تكون في مكان لا يعرفونك فيه.

سبعة فضية.

أوربيل: اثنا عشر بحرية.

هل أمريكا بعيدة جدا؟

جينوفيڤا: بعيدة جدا.. وفي كثير من الأحوال لا يعودون.

ملك الفضة.

أورييل: حصان بحري.

جينوفيفا: دعني أر..

«تعود لتنظر إلى الورق، تظهر ورقة أخرى.. وأورييل يعيد اللعب»

أورييل: هكذا..؟

جينوفيفا: هكذا.. أنت تربح الآن.

«تبعد الورقة الرابحة عنه، وتعود لتصب لنفسها»

أورييل: آخر..؟ احذري يا خالة.. احذري...!

جينوفيفا: كأسان ونصف لا تؤثر، وإلى هذا الحد أكتفي.. عليك ألاّ تدعني أشرب الكأس الثالثة ولو رغبت فيها، هل تعلم؟ يقولون إن المكان الذي يدخل إليه النبيذ تخرج منه الأسرار.

والدك حاول ذلك معي ذات مرة، فأغلق علي لمدة أسبوع من دون ماء، ومن ثم أعطاني شرابا لأشربه. كان يحرق الحلق، فظيعا حتى أنني لم أستطع المتابعة لمعرفتي الكاملة بأنني إذا شربت منه، فإنني سأقول له كل شيء. لكن في تلك اللحظة حضر جرمان وأنقذني.

أورييل: (جفونه مضغوطة) لا تتكلمي أكثر عن والدي.. من فضلك..!

جينوفيفا: عفوا..

«ترسم إشارة نشيطة في الهواء، تحذف كلامها. تشرب»

أوربيل: هل نتابع؟

جينوفيفا: أنت توزع الورق.

«تقطع، وأوربيل يوزع»

أي واحدة تعجبك أكثر؟

أوربيل: أي واحدة؟ ماذا؟

جينوفيفا: من هذه القبلات الخمس الموجودة على يدي.

أوربيل: هذه..

جينوفيفا: كنت متأكدة. إنها قبلة الوداع عند الباب. وعلى إصبع البنصر. هل لاحظت؟ خاتم الزواج؟ (تكرر بصوت منخفض) خاتم الزواج.. خاتم الزواج.

«تفتح أوراقها لتلعب، وفجأة ترميها وتقف هائجة.

أوربيل يقف أيضا..»

أوربيل: هل حدث لك شيء؟

جينوفيفا: الشجرة. يجب أن نجدها.. افتح يا سمسم.. افتح ياسمسم.. عندما أجدها.. ستتصل الرسالة، وهي تناديني.. بعد ذلك إلى الزواج، ومن ثم البحر.

سنذهب إلى أمريكا معا يا أورييل، إنها أكبر وأفضل. إنها مختلفة..!

أورييل: هيا.. اهدئي.. اجلسي.

جينوفيفا: فيما بعد.. دعني أتنفس الآن. ألم أظهر لك أوراق رسائلي..؟

أورييل: لقد حرقوها..!

جينوفيفا: نعم.. أبوك أيضا دائما يبحث عن الشيء نفسه.

«الجواهر أين هي موجودة، قولي، أو أحرق الرسائل»

لم أعتقد أنه سيتجرأ حتى شاهدتها هناك تحترق.

الرسائل السبع الأكثر جمالا من كل الذي كتبت.. شاهدتها تشتعل.

«تشير إلى المدفأة»

هناك أحرقها..! هناك..! (ولكن أي أبله يستطيع أن يحرقها..؟ من...!؟

أورييل: (يجلس بطريقة ثقيلة) ارحميني يا خالة.. لا تحدثيني عنه أكثر.

جينوفيفا: نعم يا بني.. نعم.. عفوا مرة أخرى.

لقد استطعت أن أنقذ قطعة واحدة من آخر رسالة..(تبحث في المدفأة) لأكثر من كلمات محروقة،

لكنها تكفي. لقد لصقتها مع ورقة من الحرير.. انظر..

«تخرج من ظرف له شريط من الفضة ورقة محروقة وملصقة بكل حذر»

جينوفيفا: هنا توجد مقاطع متفرقة من دون معنى.. لكن هنا اسمع.. يا حبيبتي..يا أكبر حب، يبدو لك بأنه لاشيء.. صحيح...؟

طبعا.. ماذا تعرف أنت..؟

أما أنا فعندما كان لدي العديد من الصديقات، شاهدت رسائل العديد من العرسان.

بعضهم كان يقول: عزيزتي جينوفيفا.. وآخر يقول:.. يا حبيبتي جينوفيفا.. لكن يا أكبر حب لم يقلها أحد غيره، هل تفهم الآن لماذا أضحك من هؤلاء الحمقى، وبخاصة عندما يذكرون حكاية زواجه من امرأة أخرى هناك.

هل أضاعوا عقولهم..؟ كيف سيتزوج رجل من امرأة أخرى وهو يكتب هذه الرسائل ؟ هذه الكلمات.. ياحبيبتي.. يا أكبر حب..!!

«تضغط على الرسالة للحظة. تكرر بصوت مهموس»

جينوفيفا: يا حبيبتي... يا أكبر حب..

يا لها من حسرة! فلم أستطع أن أحتفظ بأكثر من

هذه القطعة..!

أورييل: من أجل ماذا تريدين أكثر..؟ يا حبيبتي، يا أكبر حب هي رسالة كاملة.

جينوفيفا: صحيح..؟ شكرا يا أورييل، أنت أيضا عندما تكبر ستكتب هكذا.

«تصب لنفسها كأسا أخرى»

أورييل: لا يا خالة، إنها الكأس الثالثة.. (يعيد الكأس)

جينوفيفا: الأخير.. أعدك.. إنني أحتاج هذه الكأس الآن. (ترجوه) دعيني من فضلك.

«أورييل يعطيها الكأس»

جينوفيفا: شكرا..

«تشرب، تبتسم، تهدأ، تجلس»

جينوفيفا: هل نتابع؟

أورييل: نتابع.

جينوفيفا: (بصوت ما كاد يبدأ حتى يغيب، وهي تخلط الأوراق) من يوزع؟

أورييل: لا أعرف. أنا..

جينوفيفا: (تخلط الأوراق ببطء) أنا..؟

«هدوء وصمت»

أورييل: أنا...

«كل ينظر إلى الآخر بعيون متأملة، من دون حركة، ومن دون أن تنتظر بدأت جينوفيفا في توزيع الورق بطريقة بطيئة. ينقطع الكلام. تتحول النظرات.. حتى يعودا إلى الالتقاء بلغة العيون في النهاية»

جينوفيفا: إلى متى ستتركني هكذا منتظرة..؟

أورييل: لا تدعيني أصل إلى ذلك الغد..!

جينوفيفا: إذا لم تستطع الحضور، أرسل لاستدعائي...

أورييل: دعيني أذهب معك.

جينوفيفا: لدى كل ألماس الجدة.

أورييل: يقال لا.. في الحرب، وماذا بعد..؟

جينوفيفا: عقود اللؤلؤ والزمرد...

أورييل: نجمة البحر.. وماذا بعد..؟

جينوفيفا: دعني أركب السفينة..!

أورييل: تكسير هذا الكرستال..

جينوفيفا: عبور البحر...

أورييل: العبور إلى الشاطئ الآخر...

الاثنان معا: دائما مع بعض، وسعداء إلى الأبد..!

«هدوء. دون حراك. جينوفيڤا وكأنها تستيقظ»

جينوفيڤا: هل قلت شيئا يا أورييل؟

أورييل: لا.. لا شيء...وأنت؟

جينوفيڤا: لا شيء أيضا... (يلعبان) خمسة من بعيد.

أورييل: سباتي بحري.

جينوفيڤا: حصان من بعيد.

أورييل: ملك البحر.

«تسمع من بعيد صافرات سفينة. جينوفيڤا تهتز وترتجف»

جينوفيڤا: هل سمعت..؟.. إنها صافرات سفينة.

أورييل: ستهب رياح ساحلية.

«جينوفيڤا تشير إليه أن يصمت. وتبقى واقفة وهي تنصت. تعود إلى سماع صفارة السفينة البعيدة»

جينوفيڤا: سفينة بساريتين. بارجة أو سفينة قديمة. البحر..!

فقط هناك شيء واحد أفضل من البحر... إنه ما وراء البحر...

«تجلس متكأة على أريكة شبيهة بمقدمة سفينة، تنظر إلى بعيد، بعيون زائغة، تحرك بطريقة ناعمة لطيفة أوراق اللعب وهي تهوي لنفسها»

أورييل: أنت تلعبين.

« صمت »

أورييل: يا خالة...

«صمت»

أورييل: يا خالة جينوفيفا.

« يتأملها بحنان مؤثر، بمشاعر مؤثرة، وبشكل خبيث وذكي »

إنه من دون فائدة، وبخاصة عندما تقولين ما وراء البحر.. إنه مثل رحلة بعيدة وطويلة. وبعد ذلك يأتي من القرية البعيدة، النهر.. الخيول...

« صمت.. وقفة قصيرة.. يبتسم وهو ينظر، أكواعه على الطاولة. جينوفيفا تتنهد بعمق وتعود إلى نفسها»

جينوفيفا: هل كلمتك ذات مرة عن ذلك الشخص الذي ينتمي إلى القرية الكبيرة.. هل كلمتك عن النهر... عن الخيول..؟

أورييل: أبدا..

جينوفيفا: (سعيدة) أبدا.. حقيقة أبدا...؟

أورييل: أبدا..

جينوفيفا: إذن هيا لنجعلها أمسية رائعة، هل أقصها عليك؟

أوريبل: نعم يا خالة. أتحبين كثيرا سماعها..؟

جينوفيفا: حسنا سترى...

«تشرب رشفة من كأسها، وتقص ثانية قصتها العجيبة التي تؤكد أنها نفس الكلمات»

جينوفيفا: على الشاطىء الآخر من البحر.. حيث يوجد خطيبي.. توجد أرض جميلة، وضع الرجال لها اسم امرأة.. أرجنتينا.. ولكن عوضا عن القرى الكثيرة الموجودة عندنا.. كانت هناك قرية كبيرة واحدة، تدعى مثل العذراء، سيدتنا.. بوينوس أيرس.

وعوضا عن مائة نهر ضيق هناك نهر واحد عريض، وفي بعض الأماكن لاتوجد له إلا حافة وشاطئ واحد مثل البحر.

« تشرب رشفة من كأسها مرة أخرى.

أوريبل يتابع نبرات صوتها »

أوريبل: الأرض عندهم غنية جدا.. قياسا إلى الماء عندنا.. لديهم نهر كله من الفضة.

جينوفيفا: من الفضة..!؟.. هل سمعت يا أوريبل نهر الفضة، هل سمعت..؟

أوريبل: نعم يا خالة.. تابعي.

جينوفيفا: وبعد.. هناك ريف أخضر كبير يدعى پامپا.. كله

مليء بالرجال الذين يمتطون الجياد... عشرة فراسخ.. أو مائة.. أو ألف.. كلها ساحة خضراء.. وفجأة وفي منتصف الريف.. تظهر الشجرة الوحيدة... شجرة واحدة فقط.. ولكنها كبيرة جدا.. وبإمكانها أن تمنح الظل لقطيع بكامله.. شجرة جميلة وغريبة تدعى.. تدعى، هل لاحظت...؟

هذا هو الشيء الذي نسيته..!

تحت تلك الشجرة كتب لي آخر رسالة، ومنذ أن نسيت اسمها لم يعد إلى الكتابة إلي ثانية. إنه عقابي لنسيان كلمة واحدة كبيرة وجميلة...!

« تنظر إلى أوراقها بشكل باهر.. وتقف »

جينوفيفا: لكن، ما هذا يا رب؟!.. أملك كل الانتصارات جميعها..!

« ترمي أوراقها واحدة بعد الأخرى »

جينوفيفا: اثنتا عشرة شجرة، وسباتي الشجرة، وحصان الشجرة، وتلك الشجرة، آس الشجرة، كلها (تخور قواها) من دون شك لا أقدر أن أربح مرة أخرى، لأنني قد نسيت الشجرة.. الشجرة الوحيدة شجرته..!

« تبكي فوق الطاولة.. يقف أورييل، يحاول تهدئتها، يداعب شعرها. تفتح البوابة ويدخل رامون وأماندا، مع سلة مليئة بالعنب على خصرها »

« المذكوران ورامون وأماندا »

رامون: (صارخا بصوت عال) روزينا... روزينا...!

« جينوفيفا ترفع رأسها مرتجفة، وبشكل غريزي تحاول تخبئة الزجاجة وأوراق اللعب »

« أورييل يعود إلى الخلف نحو الزاوية »

رامون: وهذا... وماذا يعني...؟!

« يتقدم نحو الطاولة. جينوفيفا تجمع أوراقها المحروقة بشكل فجائي، وتعود إلى الخلف مدافعة عنها وهي تتراجع »

جينوفيفا: عندك..!

رامون: آه... مع الزجاجة وورق لعب جديد؟ أين روزينا؟

جينوفيفا: (تتراجع نحو المدفأة، مخبئة أوراقها في صدرها) أرسلتها إلى الخارج.

أماندا: (تشاهد المخبأ مفتوحا، تدعو رامون وهي تشير إليه) رامون هناك...!

«رامون أكثر طمعا وجشعا، يهجم بطريقة فظة مبعدا جينوفيفا. أماندا تركض وتترك سلة العنب »

أماندا: إنه.. إنه...؟!

رامون: (يفتش عبثا. يخرج أشرطة، ورودا.. من قماش..

أشرطة.. يتجه مغتاظا نحو جينوفيڤا):

أين يوجد الكنز؟!

جينوفيڤا: (يذهب الخوف) لا شيء آخر.

رامون: تكذبين، مئات من الأموال والجواهر ثروة.. أين هي؟

جينوفيڤا: ابحث عنها..

رامون: هل تعرفين أن الأرض محجوزة، وبالإمكان أن نفقد حتى البيت أيضا.. مع الثروة هنا... أجيبي أين توجد الجواهر..؟!

جينوفيڤا: في المنزل. خرّبه حجرا حجرا. هيا ابحث مثل الكلب الجائع الذي لا يعرف كيف يربح.

رامون: لآخر مرة، لا تجبريني أن أرتكب حماقة.

« يمسكها بطريقة وحشية من ذراعيها، ويقيدها من يديها خلف الظهر»

رامون: أجيبي..!

جينوفيڤا: أبدا...!

أماندا: (تفقد سيطرتها على نفسها) من دون ألم يا رامون اضغط..!

جينوفيڤا: ألم تسمعها..؟ ماذا تنتظر؟.. إلى واجبك يا رامون.. اضغط ياجبان.. اضغط أكثر ياجبان.. أكثر.

رامون: كفى أيتها الدجالة السارقة.

« يرميها إلى الأرض، ويتقدم مهددا »

رامون: ستعترفين مرة واحدة.

« في هذه اللحظة يقترب أوريبل من المدفأة، ويصرخ بجنون حيواني »

أوريبل: لا آ آ! (طويلة)

« يقبض على حديدة ويواجه أباه »

رامون: (مندهشا) ماذا تفعل؟ ضد أبيك..؟ اترك هذه الحديدة..!

أوريبل: لا...!

أماندا: (بخوف غير مصدقة) اهدأ يا رامون.. الولد لفظ كلمة واحدة.. لاتلمسه..!

رامون: (يتقدم بغضب أعمى) أقول لك دع هذه الحديدة..!

أوريبل: (يرفع الحديدة) لاااا...!

أماندا: (متشبثة برامون) هل سمعته؟ إنه ليس بصراخ.. إنها كلمة.. أحلفك بروحك أن تتركه، إنها لمعجزة!

« تعيده نحو الخلف حتى البوابة. أوريبل متمسك بالحديدة. رامون يتأمل ابنه بين الغضب والدهشة. وعندما خرجا يرمي أوريبل الحديدة، والجهد العظيم يغلب عليه.

يترك نفسه يقع على مقعد، باكيا بشدة وحرقة، ومن أعماق قلبه.

جينوفيڤا التي شاهدت المعجزة، تركع وتضرب الأرض بيدها، مع غيبوبة الفرح المضيء»

جينوفيڤا: إنها لمعجزة، نعم.. الخالد..!

جوليات كان عملاقا وصاحب سيف، دافيد كان طفلا مع قطعة حجر! وانتصر دافيد على جوليات، لأن الرب كان دائما مع الطفل دافيد..!

« تركض نحو أوربيل »

لا تبك يا حياتي، يا طفلي الكبير الذي تعلم أن يقول: لا...

أنت رجلي من دمي.. لي... لي..

« تقبل رأسه، عينيه، يديه.. تعانقه بسعادة وهي جاثية على ركبتيها.. »

(ستار)

الفصل الثالث

بعد أيام عدة وفي المكان نفسه

«روزينا جالسة قرب الموقد، وهي تمشط شعرها بمشط مكسور أمام مرآة صغيرة جدا. كانت تغني أغنية رومانسية قديمة، وهي شاردة تنظر إلى نفسها، ولكن يبدو أنها غير راضية عن نفسها. تبلل أصابعها محاولة أن تصنع تجعيدة حلزونية في صدغيها، وتعود ثانية إلى النظر إلى نفسها»

روزينا: (تغني):

تُعلن الحروب الكبيرة

بين إسبانيا والبرتغال

والكونت تناديه الزهور

والكابتن العام..

الكابتن العا...

«تسمع صوت أماندا يأتي من الخارج، تتكلم عند البوابة مع أحد من بعيد. روزينا تشعر بخوف وتخبئ المشط في صدرها، تخبئ المرآة، تنطلق لتشعل الشعلة بالمنفاخ مغنية بعدم اتزان»

صوت أماندا: راميرو أنزل الحمل من دون أن تضرب الخيل، وضع الحمل في غرفة التبن، غطيه بالأعشاب.

والأفضل أن تضعه على جنب، ولا مانع أن تترك شيئا، فهذا حسن..!

«تضحك. تدخل جالبة على ذراعها سلة صغيرة من التفاح»

أماندا: هل عاد السيد صاحب البيت؟

روزينا: لا. لقد خرج إلى الجبل مع بندقيته..!

أماندا: حتى الفجر؟ لم يتأخر هكذا أبدا... استدعيني عندما يصل. بالبينا.. وفيلومينا..؟

روزينا: كما تأمرين..! إنهم ينشرون شراشف الكتان في الهواء.

أماندا: عندما ينتهي راميرو من إنزال حمل التفاح من العربة، سيترك لك جانبا سلة من أفضل التفاح، لتضعيها في الدولاب. إني أحب أن تكون الشراشف لها رائحة التفاح.

هل تريدين واحدة..؟

روزينا: لي أنا...؟

أماندا: نعم لك.. اليوم شبيه بيوم عيد.

«تمد يدها مع تفاحة»

روزينا: شكرا سيدتي.

أماندا: هكذا... شكرا سيدتي. سننتهي متفاهمتين.

ماذا كنت تغنين؟

روزينا: وماذا أعرف أنا؟ كنت أغني فقط من أجل الغناء.

أماندا: ألم تكن الأغنية هي الرومانسية لكونت الزهور..؟ إذن

تابعي.. تابعي.. أحب أن يكون أهلي فرحين.

«تخرج من الجانب الأيمن وهي تغني»:

تعلن الحروب الكبرى

بين إسبانيا والبرتغال..

«روزينا تنظر إليها وهي متعجبة. تنظف التفاحة بساعدها، وتعض قطعة كبيرة منها. تعود إلى المدفأة وهي تغني وفمها مليء.

على البوابة يظهر السيد جرمان. ينظر إليها مبتسما»

(السيد جرمان وروزينا)

جرمان: مساء الخير يا صغيرة.

روزينا: السيد جرمان! قبل نصف ساعة فقط التقيت الآنسة جينوفيڤا.. خرجت دون أن تقول إلى أين، لكن بالتأكيد ذهبت إلى الصخرة لتنظر إلى البحر..

جرمان: لماذا تظنين هكذا..؟

روزينا: لأنها كانت تحمل معها مروحة الصدف الصغيرة. السيد صاحب البيت أيضا غير موجود.

جرمان: غير مهم..! أنا لست بزائر. أنا عابر طريق فقط. أريد كوبا من الماء البارد..

روزينا: في الحال (تصب له من الإبريق) هل تريد أن أضع فيها

نقطة خل؟ يقولون إنه مفيد لحالة العطش.

جرمان: أنا لست عطشان.

روزينا: لست عطشان..! إذن...

جرمان: هذا الذي يسمونه الشراب لأجل الغد.. أمامي ساعتان طويلتان من المسير تحت شمس الظهيرة دون أي مصدر للماء.

روزينا: هل تريد أن أسقي الحصان؟

جرمان: سيكون ذلك بلا فائدة، لأن الجياد تشرب فقط عندما تعطش.

يظهـــر أنه لا شيء... آه..؟.. ومن دون شك هنا يكمن الفرق..!.. (يشرب)

روزينا: (تنظف التفاحة المتبقية بيدها وتقدمها له) هل تريد تفاحة للطريق؟ لقد تناولت قسما منها. ولكن ذلك غير واضح.

جرمان: أفضل أن أراك وأنت تقضمينها.. هيا..!

روزينا: (تقضم بقوة وهي تضحك) هكذا..؟

جرمان: هكذا.. لا يوجد أفضل من تفاحة جيدة وضحكة جميلة تكشف عن الأسنان. طازجة؟

روزينا: أوه..! إنها تتفجر من الماء.. لقد أهدتني إياها السيدة أماندا..!

جرمان: أماندا..؟! يا للغرابة!

روزينا: صحيح..؟ لا أدري ما الذي يجري معها اليوم.. تبدو إنسانة أخرى..لقد أوقعت إبريقا مليئا، ولكنها لم تزجرني كعادتها، بل انطلقت إلى الضحك، ونشر الشراشف. والخزانات ورائحة الفواكه والتفاح والغناء.. هذه هي المرة الأولى التي أراها فيها سعيدة..!

جرمان: سيئ.. كريه.. عندما تكون الغربان سعيدة يكون الفساد قد عمّ.

قولي للآنسة جينوفيڤا إنني سأحضر يوم الأحد لأتناول الطعام معها. وداعا يا روزينا.

«يصل رامون حاملا بندقية الصيد»

(المذكوران ورامون)

رامون: أهلا يا سيد جرمان.

جرمان: أهلا يا رامون.

رامون: أتريد الذهاب لأنني وصلت؟

جرمان: لا.. أمامي ساعتان من السفر، وأريد أن أصل قبل أن تغيب الشمس.

رامون: (يعلق البندقية) إلى أين تريد الذهاب بعيدا..؟

جرمان: إلى أعالي برانيا.. لأرى موت حارس البستان.

روزينا: (ترسم إشارة الصليب) يا إلهي المقدس.

رامون: يا للخولى المسكين. ألا يمكن أن تفعل أي شيء..؟

جرمان: القليل.. أضع يديه بين يديّ، وأقول له بصوت خافت: «لقد كنت رجلا عظيما. لقد صنعت من أرض جرداء أراضي زراعية. لقد ربيت تسعة أولاد أصحاء. وفي خمسين فرسخا لم يتقن أحد مثلك لعبة الأوتاد. لقد أكملت واجبك أيها المزارع... هذا حسن».

إنه ليس بالكثير، ولكنهم هكذا يرحلون وهم أكثر هدوءا.. وداعا.

رامون: انتظر... (يشير إلى روزينا كي تخرج. يشرب)

هل تعرف بأن أورييل قد لفظ كلمة واحدة..؟

جرمان: عرفت أن أماندا قد نشرت ذلك في القرية كلها، وكأنه معجزة.. ولكن بعد ذلك كذبته، وقالت إنه لا يعدو أكثر من صراخ..!

رامون: كلا يا سيد جرمان. الصراخ من الممكن أن يصنعه الحيوان أيضا.. كانت كلمة واحدة. هي (لا) قالها ثلاث مرات، هناك بالضبط وأمامي. ناظرا إليّ وجها لوجه. وكان يحمل حديدة بيده.

جرمان: وهل قال كلمة أخرى..؟

رامون: ولا كلمة أخرى..؟ هذه فقط. منذ ثمانية أيام وأنا لا أنام، أسمع صداها في أذني.

جرمان: ما الذي يدعك لا تنام؟ الكلمة أو الحديدة التي كانت بيده..؟

رامون: الاثنتان معا.. لقد أضعت أشياء كثيرة. ولكني لا أريد أن أفقد هذا الابن.

جرمان: وهل تنتظر مني علاجا؟

رامون: نصيحة..!

جرمان: لا يوجد أسهل من ذلك.. وإذا وصل اليأس بابنك وأصبح قادرا على أن يضرب بالحديد صارخا بك (كلا).. عليك أن تبتعد.. وبالتأكيد لديه أسباب كثيرة.. أكثر منك.

رامون: (بغضب) ولماذا عليّ أن أبتعد أنا؟ منذ متى الأب هو الذي يطلب العفو؟

أنا أعطيه يدي. وهذا ما أتمناه. يكفي أن يتقدم خطوة. لكن لا..!

هو ليس كأمه.. إنه مثل الخالة، مثل الأجداد.. هذا نسل مجانين لا يرضخ مقابل لا شيء.

جرمان: ما دامت أمورك محلولة. فلماذا تضيّع وقتي، وترفض نصائحي أيضا؟

«يتجه نحو البوابة»

رامون: معذرة. هل تستطيع المكوث دقيقة واحدة؟ كأس واحد..؟

جرمان: ثانية أقول.. المزارع يحتاجني أكثر منك. وهو ليس بإمكانه الانتظار.. وداعا يا رامون.

رامون: وداعا..

«يجلس مفكرا. يلف سيجارة. تدخل أماندا»

أماندا: أخيرا..! لقد انتظرتك طوال اليوم، وأنا عصبية المزاج.

رامون: ألم أقل لك إنني ذاهب إلى الجبل؟ هل حدث شيء سيئ؟

أماندا: شيء سيئ..؟ لا.. هل يبدو ذلك في عيوني..؟

رامون: يبدو أنك سعيدة جدا.

أماندا: أنت ستحكم إذا كان الحق معي.. هل تتذكر الأسبوع الماضي عندما تحدثنا هنا بالضبط عن سرّ الكنز الشهير..؟

رامون: نعم...

أماندا: ألم أقل لك بأن تدع الأمر لي؟ فنحن النساء نتفاهم فيما بيننا بسهولة أكثر؟

رامون: وهل ستقولين لي إنك اكتشفته؟!

أماندا: في خلال ساعة واحدة.. نعم.. إنه على أطراف أصابعي.

رامون: ماذا تعنين؟ ماذا تريدين أن تقولي من خلال ذلك..؟!

أماندا: جينوفيفا ستعترف بعد ظهر اليوم.

رامون: ستعترف لك..؟.. (يضحك ساخرا) لم يستطع أحد

عليها، الآن فجأة أنت ستجعلينها ترضخ..؟ أنت؟!..

أماندا: (بهدوء) أنا.. لا شيء بالقوة. هذه الأمور تصنع ببرودة أعصاب... بالعقل.

رامون: طبيعي.. هل أنا أبله..؟

أماندا: لا.. فقط تعرف كيف تكذب، ولكي تخدع امرأة كلية، ينقصك أكثر من الكذب.

رامون: هل تعتقدين بأنني لم أعمل كل الذي كان باستطاعتي عمله؟

أماندا: الجوع، العطش، الخوف.. أرى أن هذا ليس هو الطريق.

رامون: حاولت الطرق الأخرى أيضا.. الوعود.. الثياب الجديدة، ومراوح اليد الصدفية، وطرحات الدانتيل والحرير.

أماندا: أيضا.. لا.. المرأة لا تستسلم هكذا.. لا بالخوف ولابالهدايا. أنا أعرفها جيدا.

رامون: في أربع سنوات صرت أفضل مني في كل أمور الحياة..؟

أماندا: ليس الأمر بالسنوات. تكفي لحظة تأتي مثل البرق، وفجأة ترى كل شيء واضحا. هذا يشعرك بالرغبة في الضحك وبصوت عال. «لكن كيف تأخر ما خطر ببالي، إنه يمكن أن يخطر على بال طفلة».

رامون: (بنفاذ صبر) من دون آجروميات يا أماندا!. أتريدين أن تنيري لي بصيرتي بقليل من بريقك المبارك؟

أماندا: تلك المرأة مثلي، ومثل جميع النساء الحقيقيات. لاتشترى إلا بقطعة نقدية واحدة، ولا تفتح إلا بمفتاح واحد ياحبيبي.

رامون: (منكمشا بقلق) هل ستتكلمين بوضوح مرة واحدة..؟

أماندا: مثل النور... (تقترب) ماذا يحدث إذا استلمت جينوفيڤا اليوم بعد العصر رسالة من أمريكا منادية إياها..؟

رامون: رسالة..؟ مِنْ مَنْ..؟!

أماندا: مِنْ مَنْ ستكون..؟ هل بالنسبة إليها يوجد آخر..؟

رامون: لكن هل أنت مجنونة أيضا؟ خطيبها قد تزوج منذ ثلاثين عاما.

أماندا: ومن قال إنه هو من سيكتبها..؟.. رسالة يمكن تزييفها.. تزييف وثيقة مهمة صعبة! وعندما تدعو الحاجة يمكن عملها أيضا.

«تنظر إليه بثبات»

أماندا: صحيح..؟

رامون: (بصوت مبحوح، ضاغطا على يدها فوق الطاولة) مع من كنت؟

أماندا: مع مدير أعمالك.

رامون: وهو أخبرك..؟

أمـانـدا: كن هـادئا.. إنه وفـيّ. أنا دعـوته. وتـرك نفـسـه يقـع في المصيدة. الحيل السهلة هي الأفضل دائما.

رامون: هل ستدخلين أيضا في أوراقي؟

أماندا: اهدأ يا رامون.. كل أشيائك السيئة والحسنة تهم الاثنين، والذي يهمنا أكثر الآن سرّها وليس أسرارك.

رامون: (يقف مفكرا) بهذه الطريقة مدير الأعمال..

أماندا: سيحصل على حصته.. وكفى.

رامون: وهل قدمتها له؟

أماندا: لماذا أضيّع الوقت؟ الرسالة أمليتها أنا له، وهي مكتوبة الآن.

رامون: والخط؟

أماندا: ذلك الجزء المحروق من رسائلها الذي تخبئه كان كافيا.

«تخرج الرسالة من صدرها»

أماندا: هنا مفتاح كنزك مع ختم وكل شيء..

«هو سيأخذها»

لحظة أيضـا. وعـودي جـاهزة. هل أحـتـاج لأن أذكـرك بوعدك؟

رامون: وإذا فشلت خطة الرسالة..؟

أمـانـدا: أنت تـعـرف أكـثـر من اللازم بأنـه لا يمكن أن تـفـشـل..

أجبني دون أن تبعد نظرك عني. أتتذكر وعدك أم لا..؟

رامون: (من دون أن ينظر إليها) طبيعي، نعم أتذكّر.

أماندا: لن تبقى هذه المرأة ولا يوم آخر هنا. ستكون أفضل بكثير إذا مكثت في مستشفى جيد. هل تذكر هذه الكلمات؟

رامون: أتذكّرها.

أماندا: المركبة ستخرج عند غروب الشمس، ابعث لتحجز مقعدين، وبدّل ثيابك لتصاحبها.

رامون: اليوم بالضبط؟ عليها أن تجهز أمتعتها..!

أماندا: لقد جهزتها أنا بنفسي.

رامون: لكن يا أماندا...

أماندا: إذا لم تفعل ذلك اليوم، لن أثق بك غدا.. ما الذي تنتظره؟

رامون: (يسير بقلق) لا أعرف، لقد جاء كل شيء هكذا فجأة.

أماندا: لو كنت نادما! أخبرني الآن.. لايزال الوقت أمامنا.

رامون: كلا.. إنه ليس الندم.

أماندا: الخوف..؟

رامون: مِنْ مَنْ؟

«يتأثر، وكأنها مست رجولته، يتقدم نحوها

ناظرا إليها وجها لوجه»

رامون: إنني لست ذلك الجبان الذي تتخيلينه.

صحيح..! سأفعل ذلك لأنني أحتاجه.. سأفعل ليس من أجلك أنت.. بل من أجل الشهوة التي تأمرني... لكن أريد أولا أن أقول لك حقيقتي وبصوت عال. فأنا أتقزز من نفسي. هل سمعت؟ قرف وخجل من أجل الاثنين.

أماندا: هذا أفضل.. (تقترب بحرارة) كل شيء يمكن أن يوحّدنا أحبه.. سنبقى معا..

«تداعب شعره بقوة، بحركة شبيهة بمداعبة شعر الحصان. تجلبه لطرفها. تقبله بقوة. يفلت منها»

أماندا: هل ستبعث بحجز المقعدين..؟

رامون: (بصوت مبحوح) سأفعل.

أماندا: شكرا.. هنا مفتاحك.

«تعطيه الرسالة.. يخرج رامون. أماندا تتبعه حتى البوابة. كلها تلمع بفرح شرير. تدخل روزينا، تحمل أثوابا حديثة الكي»

(أماندا وروزينا)

أماندا: ما هذه الثياب؟

روزينا: أرسلتني بالبينا لجلبها من عند السيدة..

أماندا: أي سيدة؟ هل توجد أخرى..؟!

روزينا: عفوا.. من الآنسة.

أماندا: آه.. نعم.. قمصان النوم ذات الأطراف المطرّزة.. خذيها إلى الطابق العلوي، إلى غرفتها، وضعيها فوق الصندوق. وأنا سأغلق الحقائب.

روزينا: هل ستسافرين؟

أماندا: في مركبة اليوم.. واعتبارا من الغد لا يكفي «السيدة أماندا» والسيدة «جينوفيڤا» منزل واحد. سيدة واحدة. وشراشف الكتان.

روزينا: لكن.. ألن تعود..؟!

أماندا: لا أعتقد.. إنه مجال ضيق بالنسبة إليها.. ماذا كانت تفعل ملكة خيال المآتة العظيمة هذه في المنزل ذي الشرفات السبع؟

غدا سيكون لها منزل ذو مائة شرفة.. وكيف ستحط بين قوم مساكين مثلنا؟

من الغد سيكون لها أصدقاء.. صديقات مثلها، وعلى طاولة طويلة واحدة من الشوكولا.

يا للسيدات...! إني أراهن..! الكونتيسة من أعالي البحر، الأرملة، المعتوهة الكبيرة. في كل إسبانيا، المحترمة، رئيسة دير الراهبات، والجمعية الدينية المقدسة للعانسات.. (تضحك) هذا الذي كانت تريده! وهناك ستحصل عليه..

كل شيء في موضعه، وكل شخص في مكانه المناسب..!

«تخرج. روزينا لا تعي شيئا من كلامها. تتابعها بنظرات واضحة. إنها مضطربة. تصعد الدرج. تقف. تنظر إلى الثياب، تعيد نظرها إلى المكان الذي خرجت منه أماندا، بينما كانت تحاول أن تجد معنى لكلمات أماندا..»

روزينا: الأمتعة؟ المركبة؟ وهذه الضحكة؟ الضحكة الشريرة..!

لكن يا ربي. لماذا لا أفهم أي شيء في هذا المنزل؟

«وبطريقة فجائية ترمي الثياب فوق الأثاث. تركض إلى الشارع، ولكنها تتواجه مع جينوفيفا التي تصل مع مروحتها الصدفية، وثوبها الجميل، وابتسامتها الأكثر سعادة»

(روزينا وجينوفيفا)

جينوفيفا: انتبهي إلى أين أنت تذهبين راكضة؟

روزينا: إلى المركبة.. عليّ أن أعرف شيئا ما الآن بالضبط.

جينوفيفا: انتظري، لحظة لا أكثر.. انظري إليّ جيدا يا روزينا.. انظري إليّ من الأعلى إلى الأسفل. هكذا «تفتعل وقفة مضحكة لبرهة مع مروحتها كما لو كانت أمام مصوّر».

هل شاهدت ذات مرة امرأة سعيدة كلية؟

لا.. أليس كذلك؟ أصبحت تعرفين كيف هي. الآن باستطاعتك الذهاب.

روزينا: أيضا حضرتك سعيدة اليوم..؟!

جينوڤيڤا: ليس لسعادتي مثيل.. لماذا تذهلين؟

روزينا: لا أدري.. إنه شيء يمنحني خوفا غريبا، إنه يخيفني لرؤيتي فجأة كثيرا من الناس سعداء.

«تخرج راكضة. جينوڤيڤا تضحك من البوابة»

جينوڤيڤا: اركضي أيتها العنيزة الجبلية.. اركضي.. اقفزي في الهواء.. اركضي...!

«تضحك، تستخدم مروحتها وتهوي على نفسها، وتتجه نحو الدرج في اللحظة التي يظهر فيها أورييل»

(جينوڤيڤا وأورييل)

جينوڤيڤا: أورييل، عزيزي، انتظر لحظة، لا تتحرك، لاتتنفس، ستسمع أجمل كلمة سمعتها في حياتك. سترى

«تفتعل صوت زمور عن طريق يديها، وتصرخ مبتهجة»

أو مبو وووو....

أورييل: (متعجبا، ينزل درجة واحدة) ماذا ..؟

جينوڤيڤا: عندك.. اسمعها مرة ثانية. دعني اسمع نفسي أيضا بصوتي العالي.. اومبو ووو...

أورييل: (ينزل درجة أخرى) ماذا تعني كلمة أومبو؟

جينوفيفا: ألم تفهمها بعد..؟ إنها الشجرة خضراء المهماز، شجرتي الضائعة..

أورييل: (يركض نازلا. يتعانقان بعنف) أخيرا.. إذن كل شيء سينصلح؟

جينوفيفا: كل شيء. إنها الكلمة السحرية. هل تتذكّر؟ افتح ياسمسم.. افتح أومبو..

«اومبو: شجر مزهر جدا يستعمل للزينة فقط»

حينئذ سيدور الباب الحجري، وهناك سنرى الكنوز، الرسالة، الزواج، والرحلة، وأمريكا.

أورييل: لكن سويا أليس كذلك؟

جينوفيفا: طبيعي مع بعض.. أيمكننا العيش منفصلين..؟

أورييل: لا.. وأنا أيضا محتاج إلى أمريكا كثيرا مثلك.

جينوفيفا: كثيرا..؟ لماذا؟

أورييل: ألم تقولي إنه بلد مختلف.. إذن هناك سيكونون هم أيضا مختلفين مثلنا. لا أحد يضحك عليك أو عليّ. سنستطيع السير في الشوارع بهدوء كالجميع. هل لاحظت ذلك؟ لا أحد يشير إلينا.. مثل الجميع سنكون.

جينوفيفا: كان يجب أن يأتي هذا اليوم العظيم.. الآن كل ما هو سيئ محذوف.. ونبدأ من جديد.

أورييل: أعيدي لي الاسم مرة أخرى.. أريد أن أتعلم جيدا هذه

الكلمة السحرية.

جينوفيفا: أومبو...

أورييل: أمبو..! يا للصوت الغريب..!

جينوفيفا: ماذا يعني لك؟

أورييل: لا أعرف.. هكذا في لحظة لا شيء. كيف تذكّرته..؟

جينوفيفا: فجأة.. حتى من دون أن أفكّر فيه. كنت هناك في الأعلى أنظر إلى البحر، وفجأة وكأن ضربة أتت على جبيني: اومبو..! مثل تلك العصافير الفاقدة الوعي التي تدخل البيوت، وتتخبط بالزجاج. هل هذه الكلمة شبيهة بنغمة الضرب على الكريستال.؟ لاحظ اومبو...

أورييل: لا.. الأفضل أنها تشبه اسم عصفور.. هل تسمعين كيف يغني الاومبو؟

جينوفيفا: (تقلد بأكثر من حالة الصوت الخيالي).. لا أعرف،إنه الوداع، الصراخ عن بعد..

(تهزّ المنديل) اومبو وو... اومبو ووو...

أورييل: لا، إنه صوت ريح الشتاء على السطح، اومبو وو...

جينوفيفا: كلا... الأفضل أنه صوت صفير السفينة، اومبو ووو...

أورييل: لا.. إنه صوت الصدى في قاع البئر.. اومبو.. اوم م مبو...

جينوفيفا: أيضا.. لا.. إنه صوت دعاء الأطفال الضائعين في

الليل.. اومبو... اومبو وو...! الأطفال الذين انتهوا إلى اكتشاف مغامرة، ويعيدون هذا الصوت في كل مكان، يلعبون الكرة مع الكلمة الجديدة المدوّرة.

أورييل: غير معقول! منذ لحظة لم تكن تعني لي أي شيء هذه الكلمة.. والآن تعني كل شيء.. إنها كلمة مليئة بالصدى..

جينوفيفا: لا.. إنها كلمة مليئة بالكلمات.

أورييل: يا للغرابة! شجرة لها اسم عصفور.. اسم الصحة، اسم صراخ، اسم ريح، اسم صفير السفينة، واسم طفل ضائع...

جينوفيفا: أكثر بساطة أن تقول: إنها شجرة لها اسم شجرة.

أورييل: يجب أن نقول هذا الاسم على شجرة التفاح، شجرة الكستناء، وشجرة الجوز، ونعلمها بأن أختها وصلت من أمريكا.

جينوفيفا: هيا بنا.. نهتف به بقوة، لكي تكرره الجبال سبع مرات، اهتف معي يا أورييل:

«يصرخ الاثنان نحو الجمهور، وفي اتجاهات مختلفة، وبرنة ذات صدى»

الاثنان: اوم.. بو ووووو... ووو...ووو... (يضحكان).

جينوفيفا: بقوة أكثر.. كي تدوّي، ويسمعون حتى أولئك الموجودين على الطرف الآخر من البحر..!

الاثنان: اوم. بو ووو... ووو... ووو...

«يسمع من بعيد صفير سفينة»

جينوفيڤا: هس.. (ينصتان للحظة) هل سمعت. السفن تجيب. أليس هذا مدهشا..؟

أورييل: مدهش...!

جينوفيڤا: مع هذه الكلمة السحرية نحن نملك العالم.

أورييل: يجب علينا أن نزرعها في كل بيت.

جينوفيڤا: في كل الزوايا والعلّيات.

أورييل: نصرخ بها للاسطبل.

جينوفيڤا: مدّها مع الشراشف.

أورييل: حفظها في الخزانات.

جينوفيڤا: تعليقها على الشرفات.

«يهتفان بها في كل الاتجاهات وهما يضحكان»

الاثنان: اومبو وو... ووو... وووو اومبو... ووو... ووو...

«في اللحظة التي يهتف بها نحو الخارج يظهر رامون في البوابة. المشهد يجمد فجأة. جينوفيڤا تعود إلى الخلف نحو أورييل بعفوية. وقفة طويلة صامتة»

(المذكوران ورامون)

جينوفيفا: لماذا تنظر هكذا محدّقا..؟ ما هو الشيء السيئ الذي تجلبه معك اليوم؟ تكلم.

رامون: (يتقدم خطوة واحدة) سيئ..!؟ جلبت لك هدية كبيرة.

جينوفيفا: (تعانق أوربيل) لا أريد شيئا منك.

رامون: هذه المرة، نعم.. عندما تعرفينه (لأوربيل) قولي له أن يخرج.

جينوفيفا: لا أريد أن أبقى وحيدة معك.

رامون: بلا خوف يا جينوفيفا إنه خبر عظيم.

جينوفيفا: ألا تستطيع أن تقوله أمامه..؟

رامون: إنه ليس للفتيان.. قولي له أن يخرج.

جينوفيفا: لا..

رامون: على مدخل الجسر التقيت بأنطون ساعي البريد.

جينوفيفا: مع أنطون..؟ هل سيأتي نحونا..؟

رامون: كان سيأتي.. الآن لا يهم. قولي له أن يخرج.

«جينوفيفا تشك للحظة. تضع يديها فوق كتفي أوربيل. ينظران إلى بعضهم بإمعان. أوربيل يخرج من الباب الثاني الأيمن»

(جينوفيفا ورامون)

جينوفيفا: ماذا قال لك أنطون؟

رامون: أفضل ما كنت تنتظرينه. لقد وصلت رسالة إليك.

جينوفيفا: (بصرامة) إنها ليست الحقيقة.

رامون: رسالة من أمريكا.. منه..

جينوفيفا: تكذب..

رامون: هذا ليس كلاما يا جينوفيفا.. (يخرج الرسالة) هل هذه كذبة..؟

جينوفيفا: إنها كذبة.. إذا كانت هذه الرسالة لي فإن أنطون لايسلمها لأحد غيري، لماذا لم يجلبها هو بيده؟

رامون: التقيت به على الجسر، وأنا رجل البيت.

جينوفيفا: إنها ليست لي.

رامون: (ينظر إلى الظرف) ألست أنت الآنسة جينوفيفا ألتاميرا..؟

جينوفيفا: على الرغم من أن اسمي مكتوب هناك فإنها ليست الحقيقة.

رامون: أليس هذا هو المنزل ذو الشرفات السبع؟

جينوفيفا: ليأت أنطون ويسلمها لي. استدعه..

رامون: هل تتذكرين هذا الختم؟

جينوفيفا: لا يكفي.. يوجد في القرية نساء أخريات يستلمن رسائل.

رامون: (يتقدم) والخطّ؟! هل تريدين رؤية الخط؟

جينوفيفا: (بصراخ) كلا...!

«تعود إلى الخلف وهي محاصرة ما بين الشك والخوف من التصديق»

إذا رأيتها قد أعتقد.. لا .. لا أريد الاعتقاد..!

رامون: هيا يا جينوفيفا قولي شيئا معقولا. لماذا لا تكون الحقيقة؟ إنك ترينها. أليس كذلك..؟

جينوفيفا: أتوجد معجزات معكوسة. الشيطان قال أيضا: خذ هذا الذهب. ألا تراه هنا؟ هيا.. وعندما تلمسه يكون كربونا.

رامون: هل تريدين أن أقسم لك بالرب؟

جينوفيفا: لأجل ماذا..؟ إلى أية درجة يهمك الإيمان بالرب؟ (تتجه للخروج).

رامون: وإذا أقسمت لك بابني..؟

جينوفيفا: هل ستكون قادرا على هذا..؟.. (تتوقف).

رامون: (يستهزئ. يرفع قليلا يده الجبانة) أقسم لك.

جينوفيفا: لكن حينئذ... حينئذ.. لا... أيكون معقولا..!

«تتقدم. عند الباب الأيمن تظهر أماندا. جينوفيفا ترجع فجأة»

جينوفيفا: لا.. ما الذي تفعله تلك المرأة هنا..؟ أين كانت موجودة..؟ يجب أن تكون حيلة.. اذهبي!

رامون: (يفقد السيطرة على نفسه) هذا يكفي. هل يجب عليّ أن أجبرك على قراءتها بالقوة..؟

أماندا: (ببرودة) من دون صراخ يا رامون. اعطها الرسالة. إذا رفضتها ستلقيها في النار هي بنفسها.

جينوفيفا: (ترجع) لا تقتربي. ارميها أنت في النار مثلما فعلت بالرسائل الأخرى.. أنا لا أريد رؤيتها. إنها ليست لي. لايمكن أن تكون لي.

«تتجه نحو السلم كهاربة. تصعد بعض الدرجات بسرعة. وفجأة تقف.. رويدا.. رويدا.. يعود النور إلى وجهها.. تتذكر الكلمة السحرية»

اومبو ووو...!

«تمسك بيدها مسند السلم. قالت بلهجة حازمة بينما تنزل»

افتح الظرف

رامون: أفتحه؟

جينوفيفا: أقول لك افتحه..! (رامون يشك، ناظرا إلى أماندا).

أماندا: افتحه.

رامون: (يمزّق الظرف، ويخرج من داخله ورقة مطويّة) هكذا...؟

جينوفيڤا: اقرأ بصوت عال.

«ينظر إلى أماندا من جديد»

أماندا: اقرأ.

رامون: بوينوس آيرس، الرابع والعشرون من...

جينوفيڤا: بعد ذلك؟

رامون: الآنسة جينوفيڤا آلتا...

جينوفيڤا: بعد ذلك؟

رامون: حبيبتي.. يا حبي الكبير...

جينوفيڤا: (بصراخ مخنوق) لا... (تركض نحوه) أين يقول هذا..؟! دعني أرى هذه الكلمات الثلاث!

رامون: (الرسالة بيده، لم يتركها..) هل ترينها هنا...؟

جينوفيڤا: حبيبتي، يا.. حبي الكبير.. نعم.. الآن تعرّفت على صوته، أعطني إياها.. إنها لي.

رامون: انتظري قليلا.. الرسالة لها سعر...!

جينوفيڤا: مهما كان سعرها لا يهمني ذلك، أعطني إياها.

رامون: أين مخبأ الجواهر..؟

جينوفيفا: (من دون أي تردّد) هناك.. في غرفتك بالضبط.. أعطني الرسالة.

رامون: في غرفتي..!؟.. أين..؟

جينوفيفا: بدقة.. تحت سريرك. أعطني الرسالة.

رامون: لا يمكن..!

جينوفيفا: تحت سريرك... قلت لك. ارفع اللوح الخامس بجانب الباب. رسالتي... رسالتي... رسالتي.. ي ي...

«حالة ذهول تصيب أماندا ورامون، ينظران إلى بعضهما، أماندا ترتد إلى نفسها. تركض إلى الجانب الأيمن، وتخرج»

ألم أقل لك؟ أعطني رسالتي.

رامون: فيما بعد. أحتاج أن أعرف الحقيقة أولا.

جينوفيفا: أقسم لك بأغلى شيء أملكه...!

الانتظار من الممكن أن يطول لسنوات، ولكن توجد لحظة لا يمكن فيها الانتظار.

دعها، اترك الرسالة.

«تخطفها منه. يحاول رامون استعادتها. يسيطر على نفسه»

رامون: حسنا.. لكن اقرئي الرسالة أمامي ودون أن تتحركي.. وإذا حاولت الخديعة فسترين الرسالة تشتعل هناك في

النار مثل الرسائل الأخرى.

جينوفيفا: حبيبتي، يا حبي الكبير...

«تسير متوترة، لا تستطيع المتابعة، تكرر بصوت مهموس وسريع شبيه بتراتيل الصلاة ومن دون توقف»

جينوفيفا: حبيبتي، يا حبي الكبير... حبيبتي، يا حبي الكبير... شكرا يارب.. حبيبتي، يا حبي الكبير.. شكرا يا إلهي.. حبيبتي، ياحبي الكبير... أين يتابع..؟ أعطني نظارتي...!

رامون: أي نظارات..؟ لم يسبق أن استعملتها..؟

جينوفيفا: لا... (تفرك عينيها بسرعة) حبيبتي، يا حبي الكبير..

«تعود وتتكمش على نفسها»

جينوفيفا: رحماك يا رامون، اخرج، لا أستطيع أن أراك وأنت تنظر إليّ هكذا..! ألا تفهم هذا. رؤيتي هكذا.. لا أستطيع، أرى نفسي وكأنني أتعرّى أمامك. دعني..

رامون: (يتراجع) اهدئي واقرئي.. لن أنظر إليك.

جينوفيفا: حبيبتي، يا حبي الكبير.. عندما تستلمين رسالتي هذه ستكون السفينة بانتظارك...

آه.. السفينة الشراعية.. السفينة... البحر... رامون سيصحبك إلى العاصمة من أجل الموافقة على الزواج... الزواج... هل سمعت يا رامون..؟

يجب عليك أن تأخذني إلى العاصمة بأسرع وقت ممكن

بينما السفينة تنتظر.

رامون: (بصوت مبحوح) نعم أعرف هذا.. أعرف هذا..

جينوفيڤا: متى ستأخذني..؟.. متى..؟

رامون: الآن.. المركب يغادر عند غروب الشمس.

جينوفيڤا: اليوم تحديدا..؟ معنى ذلك أنه يجب عليّ ألا أضيع لحظة واحدة. يجب عليّ أن أحضّر كل أشيائي.

رامون: كل شيء جاهز!

«أماندا تظهر، تخطف الأبصار»

أماندا: رامون..!

رامون: كان صحيحا..؟

أماندا: أكثر من الذي يمكنك تخيّله..!

«رامون يركض، ويخرج مع أماندا. جينوفيڤا تبدأ في صعود الدرج بسرور»

جينوفيڤا: أمتعتي حالا فالسفينة تنتظرني. معطفي وقبعتي ومظلّتي الحريرية، أمريكا. شمس أمريكا... لحظة ياكابتن.. سفينة ومهماز.. بارجة ومهماز.. أخضر ومهماز.. لحظة يا كابتن.

«تخرج دون أن تسمع أورييل الذي يدخل وهو يناديها»

أورييل: خالتي جينوفيڤا.. خالتي.

«يتبعها. تصل روزينا وهي مشحونة»

روزينا: أورييل..! اسمع..! يقولون إن الذين يحبونك بحق تفهمهم من خلال عيونهم فقط. أنا أحبك يا أورييل.. أحبك كثيرا.. انظر إليّ..

«تضع يديها فوق كتفيه»

روزينا: هل تفهمني إذا تكلمت معك هكذا..؟

«إشارة إيجاب من أورييل»

روزينا: أتت المركبة. سيأخذون الخالة جينوفيڤا ليسجنوها في المنزل ذى المائة شرفة، مع قضبان حديدية. إنه السجن. سينتزعون منها كل شيء، الأنيس، البرتقالة، طرحتها البيضاء، المروحة الصدفية. لا تستطيع أنت أن تتركها هكذا.. صحيح لن تتركها...؟

أورييل: (صراخ غير مفهوم).. لا...

روزينا: السيد جرمان هو على طريق - برانيا - نحو بيت المزارع. عبر طريق الجسر. يمكنك أن تلحق به. حصان أبيك له سرج، لكن الحصان الصغير أسرع. هل يمكنك أن تركبه - دون خوف - من دون سرج..؟

أورييل: لا...

«يركض نحو المدفأة. ينزل المهماز المعلق، حيث يلبسه بسرعة»

روزينا: السيد جرمان هو المنقذ الوحيد.. معه لا يتجرؤون.. أسرع قبل أن يتأخر الوقت.

«تنظر إليه وهو يلبس المهماز، ويجهّز نفسه»

روزينا: لا.. هذا.. لا.. إنه حصان صغير وبدم حار.. ولا حتى والدك يستطيع أن يركبه بالمهماز.

«تجلس على ركبتيها محاولة خلع المهماز»

روزينا: أرجوك دع المهماز يا أورييل.

أورييل: لا..!!!!...

«يبعدها بطريقة خشنة، يوقعها، يخرج راكضا. روزينا تصرخ وهي على الأرض، تركض خلفه»

روزينا: وأنت ترتدي المهماز امتط الحصان الكبير، لا تمتط الصغير. اسمع يا أورييل، أورييل.

«تخرج.. تناديه وهي تشعر بالضيق. يسمع صراخ في الخارج... وقفة قصيرة. روزينا تعود وتدخل من جديد، تركض نحو الباب الأيمن منادية وهي تصرخ»

روزينا: يا سيدي صاحب البيت، السيدة أماندا.. سيدي...

«يظهر رامون، ومن ثم أماندا»

(روزينا، رامون، أماندا)

رامون: لماذا تصرخين بهذا الشكل الفاضح؟

روزينا: أوربيل خرج يعدو بسرعة على الحصان الصغير الأصهب..!

أماندا: وماذا يعني ذلك؟ لقد امتطى هذا الحصان مئات المرات.. أليس كذلك؟

روزينا: ولكن من دون المهماز.

رامون: (منكمشا على نفسه) ذهب بالمهماز! وأنت تركته!؟ غبيّة!..

روزينا: لم أستطع أن أفعل أي شيء.. إنه أقوى مني.

أماندا: من أين ذهب..؟

روزينا: سيأخذ طريق الجسر.

رامون: على الطريق الصخري؟ اللعنة على هذه الساعة..! ابني...

«يخرج راكضا. أماندا وروزينا يتبعانه. وقفة.

مشهد صامت. ينتشر نور وهميّ. صوت رياح.

صوت آلة موسيقية. الصمت من جديد.

الأم، والجد، وآليسيا يدخلون بحركات بطيئة.

يمكث الثلاثة بصمت للحظات دون حراك،

وهم ينظرون باتجاه الطريق المؤدي إلى الجسر»

(الأم، الجدّ، وآليسيا)

الأم: لماذا يجب أن يكون هكذا..؟ وبوحشية، على الرغم من وجود

طرق أخرى أكثر نعومة؟

الجد: هذا الشيء لا يبحث عنه، يلتقي به..!

الأم: إنه شاب صغير بعد..!.. تقريبا إنه طفل.

الجد: لا يا كلارا.. إنه رجل كامل.

الأم: دائما كانت الجياد والصخور تترك عندي خوفا. الآن أدركت لماذا..؟

الجد: إنه الأفضل.. هل كنت تفضّلين له طريقا طويلا مليئا بالصعاب والآلام مثل طريقك..؟

الأم: لا.. الشيء الوحيد الذي أتمناه هو إبعاده عن الآلام.

الجد: إنها آلام مؤقتة. لا تترك الوقت للشعور بها.

آه. هل سمعت..؟

«يسمع من بعيد صهيل الحصان الصغير. يتغيّر ويتحول صهيل الحصان إلى نغمة موسيقية مسيطرة.

آليسيا تتقدم خطوة واحدة وهي تنظر بشوق وفضول»

آليسيا: أي فارس هذا..! .. من دون ركاب ومن دون سرج..!

الأم: الأب والجد أيضا.. وكل رجال هذا المنزل.

آليسيا: انظروا كيف يحرّك رأسه وهو يشق الرياح. كأربع خوذات تقتلع الشرر من الصخور.

الجد: إنه ينعطف نحو طريق الجسر.

الأم: (تتقدم وكأنها تنادي وهي تصرخ.. لكن دون أن ترفع صوتها) مع المهماز لا يا أورييل. مع المهماز لا... لاياأورييل.

الجد: لا تنظري الآن يا كلارا.. لا تنظري يا آليسيا.

«الاثنتان ترجعان رأسيهما ببطء. تمكثان دون حراك. الأم تغلق عينيها، وتوجه رأسها نحو الأسفل. الجد يتابع النظر بثبات.

يسمع صوت ركض من بعيد. فجأة يسمع صوت ضربة قوية غليظة شبيهة بمطرقة الصنوج التي يترك صوتها صدى طويلا عبر موجات الهواء.

ينقطع الصوت، صمت.

الجد يحني جبهته»

الأم: (من دون صوت) انتهى؟

الجد: نعم.

«الأم تفتح عينيها، ترفع رأسها. يعبر المشهد صوت الهارب على البوابة. يظهر أورييل بنفس طقمه ومهمازه، يمكث للحظة، بدا كأنه فاتن يخطف الأبصار. يتقدم بضع خطوات واضعا كفيه فوق عينيه»

(المذكورون وأورييل)

أورييل: أنتم الثلاثة هنا؟

الأم: ألا ترانا..؟

أورييل: يوجد نور قويّ.

الجد: إنه للحظة الأولى لا أكثر.

الأم: هل آلمك يا بنيّ؟

أورييل: حتى أنا لم أشعر بذلك. لكن كيف يمكن أن تكون مدهشة جدا وسهلة جدا..؟!

كيف يمكنني أن أشعر فجأة بالهدوء والحرية..؟!

الجد: لأنك الآن لست مختلفا. الجميع هنا متساوون.

أورييل: (لأمه) والآن.. ما الذي يجب أن أفعله الآن؟

الأم: لا شيء.. الآن ببساطة يبدأ السلام.

آليسيا: (تخرج من جيبها نجمة البحر) هل تريد نجمتي البحرية؟ يمكن أن تكون للاثنين.

أورييل: شكرا يا آليسيا.

الأم: هيا بنا. لنذهب.

أورييل: انتظري. أشعر بأنه ينقصني شيء ما ولا أعرف ما هو. شيء.. أحد.. انتظري.

«على الدرج تظهر الخالة جينوفيڤا سعيدة، مروحتها الصدفية معلقة إلى رقبتها، مع معطف السفر، وسلة، ومظلة من الدانتيل. تنزل وهي تنادي بفرح من طرف إلى آخر. النور يرتفع لحضورها»

(المذكورون وجينوفيفا)

جينوفيفا: أوريبيل...! أوريبيل!... أوريبيل..!...

الأم: أكانت جينوفيفا هي التي تتقصك؟

أوريبيل: ماذا ستفعل هي الآن من دوني؟

الأم: لقد حصلت على طريقها الخاص الهادئ، الواضح مثل طريقك. عالم آخر سعيد.

جينوفيفا: حالا يا أوريبيل!... السفينة تنتظر..!... أمريكا تنتظر..! الأفضل في العالم ينتظرنا! حالا. إنها السفينة الأخيرة!... أوريبيل!...

«تضع مظلتها فوق الطاولة، وتضع على رأسها قبعة السفر»

أوريبيل: لا أستطيع أن أتركها هكذا، من دون كلمة وداع. يجب أن توجد طريقة لأقول لها وداعا.

الأم: لا نستطيع أن نفعل أي شيء يا بنيّ.

أوريبيل: أنتم لا، لأنكم بعيدون، لكن أنا لا أزال قريبا جدا..!

مازلت أشعر بحرارة يديّ..!

«تخرج رسالتها لتقرأها مرة أخرى. تكرّر الكلمات الثلاث الأولى بينها وبين نفسها بطريقة حذرة بحيث لاتسمع»

جينوفيفا: حبيبتي، يا حبي الكبير.

لماذا تأخرت كثيرا لتعود وتقولها لي من جديد؟ يا حبيبي القاسي، يا غائبي الصامت، يا صاحبي المؤلم..؟

«أورييل يخطو خطوة نحوها»

الأم: إلى أين تذهب؟

أورييل: لأترك لها الشيء الوحيد المستطاع. هدية وداع صغيرة.

«يشير إلى الأم»

ابقي. أنا أعرف.

«يقترب. أصوات آلات العزف تخيّم على المشهد.

برقة وشفافية لا نهائية، يأخذ يدها ويقبّلها.

جينوفيفا ترتجف. تجمد في مكانها دون حراك

للحظات. برعشة تعيد يدها المقبّلة.

لا تتجرأ أن تنظر»

جينوفيفا: من هناك؟... من..!؟

«تكّرر بشكل فجائي، وبصراخ قويّ»

من..؟

«تتنفّس بارتياح»

لا أحد!

يا للغرابة...! كان مثل نافذة فتحت فجأة، ودخلت نسمة هواء منعشة

«تنظر إلى يدها»

لكن فـقـط هنا.. أبدا لـم أنل على يدي مطلقـا شـيـئـا أكثـر نعومـة، وأكثـر قوة في الوقت نفسـه، وأكثر برودة، وأكثر حرارة...

«تتناول يدها باليـد الأخـرى. تحـملهـا إلى خـدها، تداعبها، تقبّل موضع القبلة.

الجدّ يبدأ بالخروج. الأم تتبعه وهي تنظر إلى أورييل.

آليسيا تمسك يد أورييل الذي لا يبعد نظراته عن جينوفيڤا

ويكاد يحملها بعينيه.

يسـمع من بعـيـد صـوت نفيـر السـفـينة. جـينوفـيـڤـا ترتجف وكأنّ الصوت أيقظها. تبتسم، تجيب»

جينوفـيـڤـا: أنا ذاهبـة. لا ينفـذ صـبـرك يا حـبيبي، يا أكـبـر حبّ ياحبيبي.

«أورييل لايزال على عتبة الباب بهيئة المودّع.

من جديد ينطلق صوت نفير السفينة حتى النهاية.

جينوفيڤا وظهرها إلى أورييل تتجه نحو البوابة

مع مظلّتها المفتوحة، ملبّية الصوت البعيد»

انتظر يا حبيبي... انتظر...

«تخرج أنيقة متألّقة إلى أمريكا»

(النهاية)

المؤلف في سطور

اليخاندرو كاسونا

- أديب إسباني.
- ولد في قرية بإقليم أستورياس (شمال إسبانيا) في العام ١٩٠٣.
- اشتغل في التعليم كابويه بعد إنهائه لدراسته، وعين ليمارس مهنته في إحدى القرى القريبة من الحدود الإسبانية الفرنسية. وقد كتب في هذه الفترة مسرحيتين هما: الشيطان مرة أخرى والحورية الهاربة. وهذه الأخيرة فازت في العام ١٩٣٣ بجائزة لوبي دي فيغا Lope De Vega، وكانت أول عمل قدم له على خشبة المسرح في العام ١٩٣٤
- عين مديراً لفرقة «مسرح الشعب» و «المسرح المتجول» بعد عودته إلى مدريد.
- كتب مسرحيات عدة منها:

الانتحار ممنوع في الربع (١٩٣٧)، الزوجات الثلاث الفاضلات(١٩٤١)، سيدة الفجر (١٩٤٤)، قارب بلاصياد (١٩٤٥)، والبيت ذو الشرفات السبع(١٩٥٧).... إلخ.

- توفي في العام ١٩٦٥ في العاصمة مدريد

المترجم في سطور

أنور ساطع أصفري

- ولد في العام ١٩٤٩.
- حصل على دبلوم الاقتصاد السياسي من موسكو في العام١٩٧٣.
- عضو جمعية العاديات المهتمة بالتراث - حلب.
- عضو اتحاد الصحافيين.
- عضو نادي دبي للصحافة.
- عضو اتحاد كتاب وأدباء الإمارات.
- نشر العديد من المواد الأدبية والمقالات والمقابلات والتحقيقات.
- له كتابات في الصحافة السورية والعربية، وبرامج إذاعية ثقافية.

المراجع في سطور

شريف علي حمد زيدان

- ولد في العام ١٩٥٤ بالفيوم - جمهورية مصر العربية.
- حصل على بكالوريوس المعهد العالي للفنون المسرحية قسم التمثيل والإخراج في العام ١٩٨٢، ودبلوم الدراسات العليا (إخراج) في العام ١٩٨٥، ودكتوراه في الفلسفة - جامعة موريتانيا- إسبانيا في العام ١٩٩١م.
- يعمل عضوا في هيئة التدريس بمعهد الفنون المسرحية بالقاهرة والكويت.
- قام بإخراج عدد من المسرحيات، كما قام بترجمة ومراجعة العديد من الدراسات المسرحية الإسبانية.
- شارك في لجان التحكيم للمسرح في إسبانيا، ولجان التحكيم للمسرح الجامعي في جمهورية مصر العربية.



327

مسرحية

المنزل ذو الشرفات السبع

اليخاندرو كاسونا أديب إسباني غير مجهول في البلاد العربية، ترجمت له مسرحيات عدة إلى العربية، وقدم له على خشبة المسرح العديد من المسرحيات أشهرها: مركب بلا صياد، والمنزل ذو الشرفات السبع.. إلخ. واهتم بمسرحه أدباء عرب كثر وكتبوا عنه.

مسرحية المنزل ذو الشرفات السبع مسرحية ذات قالب كوميدي من ثلاثة فصول، وقد عرضت هذه المسرحية في الثاني عشر من نيسان في العام ١٩٥٧ على مسرح «ليسيو» في بوينوس آيرس عاصمة الأرجنتين، وقد عرضت بعد كتابتها مباشرة .

إن هذه المسرحية واحدة من النصوص العالمية المتميزة، وقد استطاع كاسونا أن يجيد تصوير الشخصيات التي تبدو أمام المجتمع مريضة، وهي في حقيقتها تحمل مشاعر إنسانية كبيرة وأزمات داخلية ورؤى مختلفة للعالم.

إن ما يثير الانتباه قبل أي شيء آخر من مسرح كاسونا هو الامتزاج الواضح بين الواقع والخيال الذي يطبع كل أعماله تقريبا . ففي أول عرض له على خشبة المسرح وهو مسرحية «الحورية الهاربة» نجد أن المحرك الذي يسيّر الأحداث هو الاصطدام بين عالمي الخيال والواقع، وبخاصة نزوعه إلى عالم الخيال والحلم. ولهذا فالعالم المعجز في عالمه هو خلق ذلك الانسجام البديع بين عالمين يحكم العلاقة الأزلية بينهما التضاد، فالخيال كان دائما نقيض الواقع عنده.

ردمك x - ٠٤٩ - ٠ - ٩٩٩٠٦
ISBN 99906-0-049-x